صفحات من مذكرات

عزيزة أمير.. أم السينما المصرية

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب: عزيزة أمير.. أم السينما المصرية

الكاتب: مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

صادق، مُحَمَّد عبد الفتاح

عزيزة أمير.. أم السينما المصرية / مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٢٧ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ٩٠ – ٦٨٣٧ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٦٤٢٤ / ٢٠٢٠

عزيزة أمير .. أم السينما المصرية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

"يكفيني فخراً يا حضرات السادة، إن صناعة السينما قد تقدمت هذا التقدم الكبير، وأن أكون أنا الفدية والقربان..."، كانت هذه كلمات الفنانة عزيزة أمير في المؤتمر الأول للسينما المصرية عام ١٩٣٦، بعدها انهمرت الدموع من عينيها، ولم تستطع أن تكمل كلمتها، حيث انخرطت في نوبة بكاء شديد، وتحدثت عن تجربة الأمومة، إذ أن المقربين منها يعلمون بأنها حملت مرة وحيدة، ومولودها مات بعد دقائق من ولادته، مما أصابها بحزن شديد وكانت تقول إن عزاءها بأنها أنجبت إبنة وهي السينما المصرية.

فالتكريم أكد دورها ولم يهدر حقها، وهي التي منحت حياتها للسينما، كما أنه يثبت إن القيمة الحقيقية لهذه الفنانة الرائدة، لم تكن فقط في تأسيس صناعة السينما المصرية، ولا في اكتشاف النجوم والمواهب، وإنما في مقدرتها الفنية وخبرتها في الإنتاج والتأليف أيضاً، بجانب براعتها في التمثيل.

قال عنها المفكر المصري طلعت حرب إنها "نجحت فيما فشل فيه الرجال"، فلقد إستطاعت الممثلة المصرية عزيزة أمير أن تصبح أول سينمائية في مصر والعالم العربي، وإحدى أشهر نجمات المسرح

والسينما، كمنتجة وممثلة ومخرجة أيضاً، نافست العمالقة وقتها.

وتثبت سيرتها أنها لم تكن مغالية ولا مبالغة حينما وصفت نفسها بأنها أم السينما المصرية، وهو الوصف الذي لم ينكره أحد، بل أكده الجميع.

محمد عبد الفتاح صادق

الفصل الأول

سيرة حياة ام السينما

ولدت "مفيدة مُحَّد غنيمي" وهذا هو اسمها الحقيقي في محافظة دمياط في ١٧ ديسمبر١٩٠١ ونشأت يتيمة، إذ توفي والدها بعد خمسة عشر يومًا فقط من ميلادها، عاشت بعض سنوات من طفولتها الباكرة في الإسكندرية، ثم انتقلت مع أسرتها إلى القاهرة بدعوة من أحد أقربائها، الذي ألحقها بمدرسة حسن المسرات في شارع مُحَّد علي، وقد انتظمت بها فترة ثم انتقلت إلى المدرسة الإنجليزية في باب الخلق، ومن المعروف أن قريبها هذا قد أنزل أسرة مفيدة في منزل يملكه يقع في شارع خيرت بالقاهرة، وهو أحد أكثر أحياء مصر حيوية. وتأثرت مفيدة من الناحيتين الشخصية والعملية بهذه الأجواء من حولها، مما بعث في نفسها حبها للفن. فشاهدت الأفلام السينمائية وكانت تقلد الممثلات العالميات أمام المرايا، كذلك كانت تجوب الشوارع بحثاً عن متاجر تعرض صور فنانيها المفضلين، فتشتريها لتملأ بها جدران المنزل.

وقد مالت الطفلة مفيدة إلى فن السينما، وهي في التاسعة من عمرها وتمنت أن تتاح لها فرصة الظهور على الشاشة وبقيت هذه

الرغبة عالقة في ذهنها إلى أن سنحت لها فرصة السفر إلى أوروبا، وهناك في باريس تقدمت إلى شركة جومون السينمائية بواسطة صاحب السعادة قليني فهمي باشا وقد أدت اختبارًا في تلك الشركة كانت نتيجته نجاحًا مبشراً بمستقبل زاهر، حتى لقد كانوا على أهبة إسناد دور لها في أحد أفلام الشركة لولا أن حدث في مصر ما ألجأ إلى استدعائها تلغرافياً فعادت على جناح السرعة وهي تلعن الساعة التي تسلمت فيها تلك البرقية.

لتلتحق بمدارسها ولكنها لم تكمل تعليمها، لكنها كانت قد أجادت القراءة والكتابة، واللغة الفرنسية ودرست مبادئ العزف على البيانو حيث كان حلمها فى الطفولة أن تصبح موسيقية، فتشكل وعيها وثقافتها، إلى جانب ذلك تأثرت شخصية "عزيزة" برحلة قامت بها مبكرًا إلى أوروبا مع أحد أصدقاء أسرتها، وساهمت هذه الرحلة فى توسيع مداركها وفتحت أبواب عقلها لعشق الأدب والفن، حيث ترددت هناك على المسارح واستديوهات السينما.

حياة غامضة

ومحاولة التأريخ لحياتها تواجه صعوبات كبيرة، خاصة وأن النصف الأول من عمرها القصير مليء بالثغرات والحكايات غي الكاملة والمتناقضة أحيانا، فمثلا ميلها للتقرب من الرجال النافذين عرضها للكثير و الكثير من الشائعات، خصوصا مع رفضها الدائم لتأكيد

تلك الأقاويل أو نفيها، وسكوتها الدائم عن زواجها الأول،، إذ يؤكد البعض أنها تزوجت سراً من سياسي مصري بارز، يقال أنه هو نفسه قريبها قليني فهمي باشا إلا أن الزواج لم يستمر طويلًا، بسبب كبر سنه ولكونه متزوجًا، وهي من عمر بناته. فانفصلت عنه بالطلاق.

وهو الغموض نفسه الذي يلف قصص زواجها، فإذا كان من المعلوم زواجها لمرتين إلا أن الإشاعات التي لم تنفها عزيزة أمير جعلت من الزوجين ثلاثة وفي بعض الروايات أربعة، الأول هو قريبها الذي لم تذكر أغلب الروايات اسمه، وإن كان البعض يؤكد أنه هو نفسه قليني فهمي باشا وكان له نشاط أدبي، صدرت له مؤلفات عدة، وكان كاتب المقالات والنائب البرلماني الشهير في تلك الأوقات.

وقد اصطحبها في رحلة مع أسرته إلى أوروبا ساعدت على اتساع ثقافتها و انفتاح أفق تفكيرها، فأحبت الأدب والفن، وترددت على المسارح، كما تعرفت خلال رحلتها هذه إلى المخرج العالمي دافيدوارك جريفيت، وهو منشئ السينما في هوليوود، وقد أعجب بجمالها الشرقي ولكنتها في نطق اللغتين الفرنسية والإنجليزية فعرض عليها الظهور في أحد أفلامه العالمية.

وهو الأمر الذي لم تأخذه بالجدية الكافية ربما بسبب عدم انتباهها قبل ذلك لمكانية تمثيلها في هوليود، ولكن بقيت هذه الرغبة

عالقة في ذهنها وهناك في باريس تقدمت إلى شركة جومون السينمائية بدعم وتشجيع من قليني فهمي باشا وقد أدت اختبارًا في تلك الشركة، واجتازت الاختبار بفضل موهبتها وإجادتها للفرنسية، كانوا على أهبة إسناد دور لها في أحد الأفلام لولا أن تلقت استدعاءً تلغرافياً إلى مصر فعادت مسرعة وهي تلعن الساعة التي تسلمت فيها تلك البرقية.

أما الزوج الثاني فهو عمدة سمالوط وأحد أعيان الصعيد، وهو أحمد باشا الشريعي، وهو الرجل الذي ساهم في تأسيس شركتها السينمائية، وقد طلبت الطلاق منه بسبب أحساسها بأن زواجها منه يقف حجر عثرة في طريق مجدها الفني، لكن الإشاعات طاردتها بشكل فضائحي وقيل أنها بمجرد انتهاء العدة تزوجت من شقيقه الأصغر مصطفى الشريعي، لذلك لم تطل مدة زواجها الثالث.

والزوج الرابع هو الذي قضت معه أغلب حياتها وهو المخرج والممثل الشهير محمود ذوالفقار.

كذبة بريئة

في سنة ١٩٢٥ نشر يوسف وهبي في الصحف دعوة يطلب إلى الفتيات المثقفات لتلبية نداء فن المسرح ويتقدمن في شجاعة ليرفعن شأن الفن في البلاد. ولقي هذا النداء هوى في نفس مفيدة،

فتظاهرت بأنها فتاة ثرية من الطبقة الأرستقراطية وأرفقت برسالتها بعض صورها الفوتوغرافية إلى يوسف وهبي طالبة إليه إذا وجدها صالحة للتمثيل أن يوافيها إلى حيث تقيم.

وأسرع يوسف بعد تسلم الصور إلى منزلها، وكانت دهشتها كبيرة حين وقع نظرها عليه للمرة الأولى فقد رأت أمامها شاباً حديث السن. فسألته تواً: "وأين الأستاذ يوسف وهبي"؟ فضحك وقال: "أنا هو!!"

ولم تشأ أن تصدق لأنها كانت تظنه أكبر سنا من ذلك، وانتهت المقابلة الأولى باتفاق على العمل، فاختار لها اسم عزيزة أمير وقد ألف يوسف خصيصاً لعزيزة رواية "الجاه المزيف" وقدمها في دور العروس الخجولة فكانت أول ممثلة اعتلت خشبة المسرح "بطلة" عند أول عهدها بالتمثيل. وكانت ثانية الروايات التي ظهرت فيها "أرسين لوبين" ثم "أولاد الذوات". وسهل ظهورها المسرحي الأول في ٢٥ ديسمبر ١٩٢٥ في مسرحية الجاه المُزيَّف، والتي أتاحت لعزيزة أمير فرصة الانطلاق لعالم النجومية. لأهمية هذا الدور، أصبحت عزيزة الممثلة الأعلى أجراً في مصر بمقابل غير مسبوق وصل إلى ٣٠ جنيهاً مصرياً كل شهر.

جذبت عزيزة أمير من خلال دورها في مسرحية "نابليونيت" نظر واهتمام عمدة سمالوط أحمد الشريعي. وشرح الشريعي قائلاً "شعرت

برغبة ملحة لمشاهدة المسرحية مراراً وتكراراً"، وأضاف "بنهاية الأسبوع، أدركت أنني كنت أرغب في مشاهدة عزيزة وليس العرض نفسه".

طريق المجد

وقضت "عزيزة" مع يوسف وهبي موسمًا واحدًا فحسب، ثم تنقلت بين فرقتي "شركة ترقية التمثيل العربي" و"نجيب الريحاني"، ومثلت مع الفرقة الأولى مسرحيات "ليون الأفريقي"، "إحسان بيك"، "المجاهدون"، "فرانسيسكو"، "الشرف "الياباني"، ومع الفرقة الأخرى مثلت مسرحية "الآنسة بطاطا"، ثم عادت الى فرقة رمسيس مع "يوسف وهبيو" قامت ببطولة مسرحية "أولاد الذوات"، والتي تحولت إلى فيلم سينمائي، كانت مرشحة لتمثيل دورها فيه، إلا أن الدور ذهب إلى الفنانة "أمينة رزق".

بحلول شهر فبراير عام ١٩٢٧، تصدر خبر زواج عزيزة من الشريعي العناوين الرئيسية للصحف والمجلات وكان ارتباطهما محل استهجان أسرة العمدة الصعيدية المحافظة، وقد أجبرها كل من الوضع الاجتماعي للشريعي والتهديدات المستمرة على ترك مسيرتها المسرحية.

وخفتت معارضة الشريعي لمهنتها، بل قدم لها الدعم المادي

والعاطفي مما سمح لها ببدء مسيرتها السينمائية. بدأت شركة أفلام إيزيس، الشركة المصرية التي أسسها الزوجان، إنتاجها بصناعة فيلم ليلى. ويُعدّ ليلى أول فيلم روائي طويل بتمويل وتنفيذ مصري، ما كان بمثابة إعلان عن ميلاد السينما المصرية.

وتعتبر قصة إنتاج فيلم ليلى درساً في المثابرة وشاهداً على إصرار عزيزة وثقتها بنفسها. في البداية، لم تبد أي من المواهب الفنية رغبة في العمل معها، باستثناء التركي وداد عرفي، والذي كان قد انجذب بشكل أساسي لثروة عزيزة. ووقعت عزيزة عقداً مع عرفي لكتابة وإخراج فيلم نداء الله، كما أنه كان سيقوم بدور البطولة بنفسه.

كان هذا العقد بمثابة التوقيع على طلب لكارثة. ولكنه في ذات الوقت أصبح بمثابة نقطة انطلاق لأحد أهم انتصارات وإنجازات عزيزة. فبعد ثلاثة أشهر من المشاحنات المتواصلة، اكتشفت عزيزة أن عرفي افتقر لأي موهبة أو مؤهلات حقيقية في الإخراج. من هنا، قامت عزيزة أمير بتقليص الوجبات الغذائية المنصوص على تقديمها لعرفي بموجب العقد، مما حرضه وبشكل هزلي على تقديم بلاغ بذلك للشرطة. وقامت عزيزة بعرض فيلم نداء الله على مجموعة من الأصدقاء المقربين والذين تململوا خلال المشاهد الطويلة والمملة للصحراء والأهرامات، ولوداد عرفي نفسه. ربما كانت نصيحة

الصديق السينمائي مُحَمَّد كريم المباشرة هي الأبلغ، حين أوصى عزيزة بحرق الفيلم.

فسخت عزيزة عقدها مع عرفي وبدأت المشروع من جديد تحت اسم ليلى. وأصبح الفيلم الآن في عهدة ستيفان روستي كمخرج للعمل مع المصور الإيطالي توليو تشياريني. عُرِضَ ليلى لأول مرة في سينما متروبول بالقاهرة في ١٦ نوفمبر ١٩٢٧، وكان بمثابة مناسبة وطنية كبيرة. وكان المصرفي المصري الشهير طلعت حرب قد نصح عزيزة في السابق أن تتخلى عن حلمها المستحيل، إلا أنه جاء في هذا اليوم لتهنئتها قائلاً "لقد نجحت فيما لم ينجح في تحقيقه أي رجل".

في ذلك الوقت، لم يكن ليوجد ثناء أهم مما قاله طلعت حرب. ومنذ تلك اللحظة، لقبت عزيزة أمير بمؤسسة السينما الوطنية. وقد جذب النجاح المادي لفيلم ليلى اهتمام العديد من رواد ورجال الأعمال الطموحين لتكرار إنجاز عزيزة. وشُيِّدت الاستوديوهات، ومُوِّلت شركات الإنتاج، وأنتجت الأفلام وصُدِّرت للخارج وبُعث بالطلبة لدراسة السينما في الخارج. ولكن كل هذا لم يضمن لمنافسيها ولو جزء بسيط من النجاح والإشادة التي حظيت بها عزيزة. وكررت عزيزة نجاحها بإنشاء مجمع ستوديو هليوبوليس وإنتاج ثاني أفلامها.

كان المجتمع المصري محل التركيز مجدداً في فيلم بنت النيل عام

١٩٢٩، وفيه انتقدت عزيزة بشجاعة التنميط العنصري بأن "النساء المصريات رجعيات ومتغطرسات". وفيه تُقدِم البطلة، الفتاة المصرية البريئة الشابة، على الانتحار عن طريق إلقاء نفسها في النيل. وتشابهت هذه النهاية بالنهاية الأصلية لفيلم ليلى، وكذلك لفيلم آمنت بالله بعدها بعشر سنوات، والتي تتمثل بموت البطلة في نهاية الفيلم.

قامت عزيزة بتوسيع مكانتها الإقليمية من خلال المشاركة في أفلام أجنبية، مثل دورها في الفيلم الفرنسي الفتاة التونسية عام ١٩٣١، والفيلمين التركيين الكاتب المصري وشوارع إسطنبول عام ١٩٣٢. وربما كانت حاجتها إلى تلك الأدوار المربحة مدفوعة بتعثر مالي: فقد أصرت عزيزة على إنتاج فيلم صامت في وقت كانت تتزايد فيه هيمنة الأفلام الناطقة. هذا الفيلم تسبب لها في الكثير من الإحراج، حيث فشل بشكل واضح وخلف ضرراً شديداً من الناحية المادية والمهنية. كذلك كانت علاقة عزيزة بأحمد الشريعي ضحية أخرى لتقلباتها غير المتوقعة، فقامت بالانفصال عنه في ١٩٣٣.

حياة في السينما

ما إن عرفت "عزيزة أمير" طريقها للسينما واختارت أن تكرس حياتها من أجل تطويرها، واعتزلت بالفعل المسرح لصالح العمل فى السينما وأتخذت أولى خطواتها فى هذا الشأن بإفتتاحها شركة انتاج

سينمائي باسم "إيزيس" والتى أنتجت **٢٥** فيلمًا سينمائيًا وكان باكورة إنتاجها فيلم "ليلى" والذى يعد أول فيلم روائي طويل مصرى وبدأت قصة الفيلم من المخرج التركي "وداد عرفي" عام **١٩٢٦**، عندما أقنعها بإنتاج هذا الفيلم الذى سبق وأخرجه في فصلين باسم "نداء الله" وقام فيه بدور البطولة أمامها، وتحمست "أمير" وقتها للتجربة وخاضت غمارها حتى خرج الفيلم للنور فى نوفمبر **١٩٢٧** وحضر حفل الافتتاح أمير الشعراء "أحمد شوقى" والإقتصادى الأبرز فى تاريخ مصر "طلعت حرب" وقال لها "شوقى" حينها " لقد نجحتِ فيما عجز عنه الرجال".

وللأسف فيلم"ليلى" لا توجد منه أية نسخ الآن، حيث يقع ضمن قائمة الأفلام السينمائية المصرية المفقودة.

وقد قام استيفان روستي إخراج أول فيلم روائي لعزيزة أمير، وساعدته في تصميم الديكور وتنفيذ الملابس والموسيقى وغيرها من مستلزمات التصوير، وبعد رضاهما عن الفيلم طلب منها استيفان أن يعرض الفيلم لأول مرة يوم ميلاده، واعترافا من عزيزة أمير بفضل وبراعة استيفان نفذت له مطلبه، وولدت السينما يوم ميلاد استيفان روستي ببطولة عزيزة أمير للفيلم.

أما كواليس الفيلم فتؤكد أن عزيزة أمير لم تفقد أموالها فقط في سبيل ميلاد السينما المصرية فحسب، بل كادت أن تفقد حياتها

أيضا.. ففي مشهد النهاية كان على البطلة عزيزة أمير أن تلقي بنفسها في النيل بغرض الإنتحار، وفي الرمق الأخير من حياتها وهي في الماء كان عليها أن تفتح فمها وتصرخ بأعلى صوت "الوداع يا ابنتي" ثم يبتلعها البحر، واستقر الرأي على تصوير مشهد النهاية في جزيرة الذهب بالقرب من حلوان، وبالفعل ذهبت مع فريق العمل إلى هناك ومع بداية تصوير المشهد ألقت بنفسها في الماء، وبدأت الكاميرا تدور والجميع ينظر إليها في دهشة من براعتها في التمثيل، وجاءت اللحظة الحاسمة لتفتح فمها وتقول كلمة الوداع، وما ان فتحت فمها وقالتها إلا ودخل الماء اليه، وتقلصت عضلاتها ثم سقطت غريقة بالفعل.

ظن فريق العمل أن هذا تمثيلا بديعا من عزيزة أمير وتوقفت الكاميرا، فقد انتهى التصوير وانتظر الجميع أن تطفو على سطح الماء، وطالت الدقائق ولم تظهر عزيز فقفز على الفور عدة رجال من فريق التصوير ليخرجوها فاقدة للوعي تماما وهي بين الحياة والموت، وبعد محاولات لإفاقتها بين ذهول الجميع عادت عزيزة إلى الحياة، وبضحكة جميلة أدهشت الجميع كانت أول جملة تنطق بها " أما مشهد.. ينفع يتعاد تاني بشكل أجمل"، وهنا اكتفى الجميع بهذا المشهد الذي تم تصويره، وكادت عزيزة تفقد حياتها بسببه.

وبعده قدمت "بنت النيل" والذى لم تكتف بإنتاجه فحسب،

وإنما أخرجته وعرض في ديسمبر عام ١٩٢٨م. وأيضًا في بداية الثلاثينات أنتجت فيلم "كفري عن خطيئتك" وهو فيلم صامت عرض في مارس ١٩٣٣، إلا أنها تكبدت فيه خسائر كبيرة نظرًا لعرضه بعد ظهور السينما الناطقة، وكانت الخسارة سببًا فى توقف"عزيزة أمير"عن الانتاج لفترة حتى عادت من جديد عبر فيلمها الناطق "بياعة التفاح" وقد شاركها البطولة زوجها الثانى"محمود ذو الفقار".

"ذوالفقار" شاركها أيضًا الكتابة السينمائية في أفلام "الورشة" ١٩٤٠ و"عودة طاقية الإخفاء" ١٩٤٧ و"خدعني أبى" ١٩٥٢.

وبشكل عام، تعد فترة الثلاثينات من القرن الماضي عقداً ضائعاً من حياة عزيزة، فقد انتقدت أفلامها بشدة من قبل النقاد والجمهور، كما خسرت كل ما تملك واضطرت لبيع الاستوديو. ومع أواخر الثلاثينات، وفي العام ١٩٣٩ بالتحديد، قامت عزيزة بدور البطولة في فيلم بائعة التفاح، ومن خلاله تعرفت على زوجها المستقبلي وآخر أزواجها محمود ذو الفقار. تمت الترتيبات الخاصة بطلاقها من مصطفى الشريعي بعد وقوعها في غرام ذو الفقار، الممثل الوسيم صاحب الـ ٢٣ عاماً. وعُرِف عن ذو الفقار سوء معاملته لعزيزة في الكثير من الأوقات، ولكن بالرغم من ذلك كانت دائماً ما تقول عنه أنه حُب حياتها.

في أوائل الخمسينيات، اكتشفت عزيزة أنها تعاني من مرض خطير، فاعتزلت التمثيل وركزت جهودها على كتابة سيناريو وحوار فيلم خدعني أبي، و لعل هذه الحسرة كانت الدافع لقيامها بدور البطولة لمرة أخيرة في فيلم آمنت بالله، والذي ناقش هذه القضية. لكن لم تعش عزيزة ما يكفي لتشاهد العرض الأول للفيلم، حيث توفيت في ٢٨ فبراير ١٩٥٢.

الفصل الثاني

صفحات من مذكرات عزيزة أميرة

نشرتها مجلة "المصور" المصرية عام ١٩٤٥

تمثل مذكرات أم السينما المصرية عزيزة أمير وثيقة هامة من وثائق تاريخ السينما المصرية، وقد أملتها على المحرر الفني لمجلة المصور المصرية في عام ١٩٤٥، وبدأت مذكراتها بالتأكيد على شغفها بالسينما، وفيما يلى نص الحلقات التي نشرتها المصور في ذلك الوقت.

الحلقة الأولى

شغفت بالسينما منذ كنت في التاسعة من العمر، فكانت أطيب الساعات وأطربها تلك التي تتاح لي الفرصة فيها فازور دار السينما. هناك كنت أتبوأ مقعدي هادئة ساكنة متطلعة إلى اللوحة وأنا أتلهب شوقاً أن أكون يوماً ما أحدى اللاتي تمر أمامي خيالاتهن وأشاهد تمثيلهن، حتى إذا عدت إلى منزلي وقفت أمام المرآة أقلد من شاهدت من الممثلات في حركاتهن وإشاراتهن، وتملأ صدري كبار الآمال، آمال الطفولة العذبة، فإذا بي أراني إحدى نجوم السينما الساطعات وأنا أروح

وأغدو أمام المرآة لا انتهي من التمثيل إلا حين أسمع صوتاً من خلفي ينتهرني: ماذا تفعلين؟... مجنونة!... وإذا أخوتي الصغار يضحكون مني وهكذا يختم الدور... ودفع بي ميلي للسينما، إلى حب الصور فكان كل ما يصل إلى يدي من نقود أصرفه في شراء الصور والمجلات المصورة. ولكم عانيت من هذه الصور والمجلات، ولكم فاجأتني المعلمة في المدرسة وهي ترى بين يدي بدل كتاب "القراءة الرشيدة" صور ماري بيكفورد. وبيرل هويت.. وما كان يعنيني لو اقتصر الأمر على الحبس والوقوف أمام الحائط ولكن... تمزيق الصور! فكنت أذرف الدموع باكية وأنا أتطلع إلى قطع صورة ليليان جيش منتشرة في الفضاء... مرت بي الأيام والسنون، وحبي السينما ينمو مع مرورها في فؤادي، وصدري يفيض بالآمال الجسام. غاية واحدة هي نصب عيني. أن أكون ممثلة في السينما. وما بلغت التاسعة عشر من العمر إلا وقد صحت عزيمتي على تحقيق ما كنت أحلم به طول حياتي. لأحقق الآن ذلك الحلم الجميل ولأسافر إلى أوروبا فانضم إلى إحدى شركات السينما.

وكانت لي صديقة فرنسية هي مدام كولنس إحدى مدرسات مدرسة برلتز فعرضت عليها أن تكون رفيقتي في رحلتي فقبلت فرحة لهذا السفر وأبحرنا معاً من الإسكندرية قاصدتين فرنسا. ولأول مرة، وأنا فتاة في التاسعة عشر، وطئت قدماي أرض باريس. ونزلت في

إحدى فنادقها مع مدام كولنس. ألتقت مدام كولنس بشقيقة لها في باريس وبدأنا نحن الثلاث نبحث عن ضالتي التي أنشدها حتى تقابلت مع صديق له في نفسي مكانة أجلها، ولي في نفسه منزلة الابنة من الأب الشفوق. ذلك هو قليني باشا فهمي. صارحته بأمري، ومازلت الحف له بالرجاء، وأني لن أكون له الابنة الحنون، ما لم يبادر إلى مساعدتي وتقديمي إلى أحد مديري شركات السينما بباريس. قبل الباشا رجائي وعمل على تحقيق أمنيتي ووفق إلى مقابلته مدير شركة باتيه بباريس، وأخذ منه موعداً لأقابله في مكتبه بمحل التصوير السينمائي **Studio** في الساعة الثالثة بعد الظهر.

***

ما أشد ما يشعر به الإنسان من اضطراب ووجل وهو يقترب من الساعة التي ربما تحقق فيها أمل طالما خالج نفسه السنين الطوال، وربما خاب فيها ذلك الأمل، كذلك كان شعوري وأنا في السيارة التي تقلني إلى موعدي الذي يبعد عن باريس نحو ساعة. كان قلبي يخفق حتى ليكاد يثب، ورأسي تلتهب بثورة خواطر مختلفة فما كنت ملقية بالاً إلى صديقي قليني باشا وهو في جواري يحدثني ولا إلى صديقتي المدرسة وشقيقتها وقد صحبتاني.

وقفت السيارة أمام باب محل التصوير. هنا المدير في انتظاري!

ترى ما الذي أعده لي الحظ وراء هذه المقابلة؟ بين شفتي المدير سيتلو القدر حكمه!..

***

دخلت المكتب وتلقاني المدير باسماً، وكان مكتبه صغيراً ليس به سوى مقاعد ثلاث جلست في أحداها وأخذ قليني باشا الثاني وبقي للمدير المقعد الثالث. أما مدام كولنس وشقيقتها فقد سألهما المدير أن ينتظرا في غرفة أخرى. فخرجت غاضبة لأنها كانت تود أن يكون لها وحدها الأمر في مصيري. أما أنا فلم يعنيني غضبها وما كنت أعلم ما أسرته في نفسها وراء ذلك الغضب.

أطال المدير النظر إلى وجهي محدقاً وأظهر ارتياحه التام إني أصلح ممثلة للسينما، بل زاد على هذا أن أراني صورة لممثلة تعاقد معها منذ عام وقال لي لو أني تقدمتها لفضل الاتفاق معي.

ولن أستطيع سبيلاً إلى وصف ما خالج نفسي من سرور وفرح وطرب، لن تجديني الكلمات مهما وسعت معانيها لأعبر عن ذلك الشعور الذي أحسست به. دعاني المدير أن أذهب معه إلى غرفة التصوير فذهبنا معاً إلى غرفة مستطيلة جدرانها من قماش أسود وهناك طلب مني أن أجلس في مقعد أطالع كتاباً ثم أرفع رأسي كأن قادماً وفد علي فأحييه وأحني له رأسي مبتسمة.

وكان هذا هو الدور الذي علي أن أمثله أما آلة التصوير وكان لابد من ممثل يقوم بدور الذائر أمامي، فلم نجد أحداً إلا... سعادة قليني باشا... وهكذا قام الباشا بتمثيل الدور فكان نجاحه باهراً لولا أن تغلب عليه الضحك..

ودهش المدير من نجاحي لأول وهلة في التمثيل السينمائي، ثم عرض الفيلم أمامنا بعد انتهائي فكان سرور الرجل عظيماً.

عدنا إلى المكتب وسألني المدير بعض أسئلة، عما إذا كنت أحسن العوم؟ هل أستطيع قيادة سيارة، أو أعرف ركوب الخيل، وكل هذه كنت تعلمتها استعداداً للسينما ثم سألني عما إذا كان بي مرض، وكنت أشكو في ذلك الحين مرض أعصابي ولكني كتمت عنه الأمر خشية الفشل. وطلب مني المدير أن نوقع على العقد في الحال ولكني سألته أن يمهلني خمسة عشر يوماً واعتزمت في نفسي أن أعالج في خلالها. وهنا وقع أمر كان له أكبر أثر، ذلك أن مدام كولنس تقدمت وعارضت المدير في أمر الاتفاق معي بدون رأيها، وأنها صاحبة الأمر عليّ، لكني تداخلت وأعدت على المدير وعدي بعد خمسة عشر يوماً، وعدنا إلى الفندق.

وبعد جدال طويل مع مدام كولنس اتفقنا على السفر في الحال إلى برلين والمكث بها عشرة أيام أعالج فيها ثم أعود إلى باريس للاتفاق مع مدير شركة باتيه لأكون ممثلة سينما.

وهنا أقف هنيهة لأستعيد ذكريات الماضي وأحلامه الجميلة...

كم كنت مغتبطة في تلكم الأيام!

الخطوة الأولى وقد خطوتها، وفي آخر الطريق القمة العالية التي سوف أرقاها يوماً وأتربع عليها مع ماري بكفورد وجلوريا سوانسون وفرنشسكا برتيني وغيرهن من الكواكب التي كانت تسطع في ذلك الوقت في سماء السينما الفضية، تحيط بها هالة قرمزية هي رمز المجد والسلطان!

أحلام! أحلام! أحلام!

تلك كانت أحلامي وأنا آكل، أو أسير في الطريق أو أتنزه أو أحاول النوم وطرد أشباح السينما وأبطال السينما من كواكب وأنصاف نجوم!

أحلامي هذه، هل يقدر لها أن تتحقق وأن ترى النور؟

سؤال كنت أعيده على نفسي عشرات المرات في اليوم الواحد، واستعين على الرد عليه... بالتدخين!!

أجل. ولأول مرة، وفي باريس، أشعلت أول سيجارة، ونفخت دخانها في الهواء، أرقبه بعين ناعسة... وأتساءل: ترى هل تكون هذه الأحلام دخاناً في الهواء؟!

يا أصدقائي المساكين الذين أرهقتهم طلباتي المتكررة.. (معكش سيجارة يا فلان؟) صبوا جام غضبكم على أحلام السينما، فلولها لما عرفت التدخين ولما استجديت سجائركم الرخيصة!

الحلقة الثانية

لن أنسى ما حييت تلك الليلة التي قضيتها عقب زيارتي مدير شركة باتيه، مرت بي حوادث ذلك اليوم كما تمر خيالات السينما التي أنا شغوفة بها. ذكرت كلمات التشجيع التي فاه بها المدير كلمة كلمة، ووعوده الكثيرة وآماله في أن أكون يوماً قريباً نجماً من نجوم السينما ذكرت موقفي أمام آلة التصوير السينمائي في ذلك الدور الصغير، الذي أراد المدير تجربتي فيه، وبحثنا عن ممثل يقوم بدور الزائر، وتبرع قليني باشا للقيام بهذا الدور، ثم تمثيل الباشا ونجاحه الباهر...

ثم اذكر المواقف العديدة المختلفة التي صورت لي بعد ذلك. ونجاحي في كل هذه المواقف وإعجاب المدير بي إعجاباً بلغ حد الدهش وكيف أنه لم تكن هناك أية حاجة لإعادة الفيلم كما يحدث غالباً أمام الممثلات المدربات كيف يمكن أن أنجح كل هذا النجاح رغم اضطرابي الشديد، وقلبي الخافق، ويداي المثلجتان.

يا لها من ليلة قضيتها تذهب بي الأحلام السعيدة إلى أبعد مداها، غداً سأكون ممثلة في السينما، سأكون نجماً من نجومها، غداً

تطوف صورتي في أفلام السينما أنحاء العالم، يا لها من سعادة سوف أحوزها...

في صباح اليوم التالي تعرض على مدام كولنس أن لا حاجة بنا للسفر إلى برلين وأن في باريس أطباء يمكن الاتكال عليهم فارفض هذا الرأي وأصر على وجوب السفر لثقتي الشديدة بأطباء برلين.

وكانت فترة قبل السفر قضيتها بين ملاهي باريس ودور السينما والتمثيل، ثم حان الرحيل وقبل أن أبرح باريس، أخذت عنوان مدير شركة باتيه لكن مدام كولنس شاءت أن تحتفظ به حرصاً عليه من الضياع فكان ما أرادت وتركت عنواني لدى شركة كوك وسافرنا إلى برلين.

ما جاء اليوم التالي من وصولي برلين حتى ذهبت إلى الطبيب الذي فحصني بعناية ودقة امتاز بها الأطباء الألمان وقرر بعد هذا شهراً لعلاجي.

وما كان أشد ألمي من هذا القرار، كيف يمكن أن أقضي شهراً وموعدي مع مدير الشركة بعد عشرة أيام؟ عبثاً حاولت أن يقصر الطبيب هذا الأجل، وذهبت إلى المصح (السناتوريوم) الذي عينه لي الطبيب.

***

ومرت بي الأيام ثم جاءت الحوادث التي قضت على آمالي، طلبت إلى مدام كولنس عنوان مدير الشركة لأكتب إليه فترفض كل الرفض؛ وهنا تكشفت لي هذه السيدة عن نفس شديدة الطمع والجشع، إذ هي تفرض عليّ مبلغاً جسيماً من المال لتعطيني ذلك العنوان، مبلغاً أعجز عن دفعه، فأثور عليها، وكان جدالاً عنيفاً بيننا يتداخل الطلبة المصريون في برلين للتوفيق بيننا فتصر على عنادها وتأبى إلى العودة إلى مصر دون إعطائي العنوان وهكذا رحلت وبين يديها مفتاح سعادتي وهنائي.

تركت السناتوريوم بعد الشفاء وقضيت زمناً في برلين أبحث عن شركة ألمانية للسينما انضم إليها، وسألت الطلبة المصريين هناك معاونتي في ذلك ولكنهم، وقد رأوا أن لا يجوز لمصرية مسلمة أن تكون ممثلة في السينما، حالوا دون أمنيتي، فكانوا يتظاهرون بمساعدتي فيراوغونني مراوغة، ويسوفون من حين إلى حين..

ولا أعلم ما الذي فعلته مدام كولنس بعد عودتها إلى مصر، ولكن بينما أنا في برلين إذ تصلني إشارة برقية من عائلتي تنبئني باشتداد المرض على أحد أفراد الأسرة وضرورة حضوري إلى مصر فطرت إليها...

حضرت إلى مصر وأول ما لفت نظري إعلانات تملأ جدران العاصمة عن افتتاح الموسم التمثيلي بمسرح رمسيس، وما نشرته

الصحف من أن هذا المسرح مستعد لقبول فتيات متعلمات ليكن ممثلات، ففكرت في الانضمام إلى هذه الفرقة ونفذت فكرتي وأصبحت إحدى ممثلات مسرح رمسيس. ومثلت بعض الأدوار على هذا المسرح نلت فيها من النجاح قسطاً قدره الذين شاهدوني، إلا أن إقامتي لم تطل به، فتركته أثر خلاف وقع بيني وبين إدارة المسرح.

وما كان دخولي المسرح ليثنيني عن عزيمتي في السينما، ولم تمر لحظة واحدة دون أن أفكر في إخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل، لكن المرض، الذي أصابني عقب خروجي من رمسيس أقعدني حيناً من الزمن.

حتى المرض لم يحل بيني وبين فكرتي بل كان عاملاً يزكيها في نفسي، فأبان النقاهة أحضرت آلة سينما باتيه بيبي ألهو بها وأنا في سريري وأرى رواياتها المضحكة على لوحتها الفضية الصغيرة.

تركت فراش المرض واتخذت لنفسي تسلية أخرى بآلة تصوير باتي بيبي فكنت أقضي الليل في تأليف رواية صغيرة وفي الصباح أجمع أصدقائي ونقوم بتمثيلها حتى إذا جاء المساء اتخذت من عوامتي "زازا" التي كنت أقيم فيها داراً للسينما وعرضت الرواية أمام جمهور من الأصحاب فكان التصفيق الشديد يدوي بين أرجاء العوامة إعجاباً وكانت نجوم هذه السينما أمينة مُحَمَّد ونزلي مزراحي ثم ممثل السينما الشهير... صالح عبد الحي!...

لازلت احتفظ بهذه الروايات الصغيرة كأثمن ما لدي وأعز ما امتلك، إنما هي ذكرى أحلام السينما السعيدة!

أردت أن يكون جدياً ذاك الذي كان هزلاً في السينما، وأن أقوم بعمل رواية كبيرة في مصر، إلا أني وجدت ممن حدثتهم ما ثبط عزيمتي، قالوا لي أن هذا العمل محال إخراجه في مصر، من غير معدات تحتاج إلى ملايين من الذهب. وما زالوا بي حتى رأيت تأجيل هذا العمل إلى حين وأن اكتفي الآن بإنشاء فرقة للتمثيل المصري. فرقة كبيرة تضم خيرة الممثلين والممثلات وغيرهم من المتعلمين الراقين ومسرحاً كبيراً يكون زهرة المسارح في مصر أردت أن أنقذ فكرة إيجاد المسرح المحلي بمصر وأن يكون عملي مصرياً بحتاً في كل وجوهه.

عقيدة في نفسي أن لكل إنسان شيطاناً للشر يحول دون آماله وملكاً للخير يقوده إلى سبيل أمانيه، وأنهما أبداً في عراك، حيناً هذا ينتصر، وحيناً تكون الغلبة للآخر، فكم من عراقيل وجدتها في طريق إنفاذ فكرتي تقهرني آناً وآناً أقهرها حتى أن سافرت إلى أوروبا لشراء مناظر ومعدات للمسرح وهناك قضيت ثمانية شهور كانت تجذبني للسينما نحوها كأنما بسحر ساحر.

***

قابلت الكثيرين من ممثلي السينما وممثلاتها ومديري شركاتها

ومصوري الأفلام وتحدثت إليهم كثيراً وترددت على دورهم كثيراً وعلى أعمالهم وخبرت الكثير من أسرار السينما ومما كان غامضاً علي حتى الساعة. ومما سمعته هناك أن مصر خير مكان يصلح للتصوير السينمائي.

وجدير بي هنا أن أذكر شيئاً مما كان يعتقده الكثيرون ممن رأيت، وممن كانوا يدهشون حين يسألونني عن جنسيتي فأجيبهم مصرية. كانوا يحسبوننا في مصر نعيش بين رمال الصحراء، في خيام نضربها، نعيش كما تعيش الوحوش، ونتدثر بأوبار الإبل. فكانوا كثيراً ما يحسبونني أسبانية..

عدت إلى مصر وقد تجمعت العراقيل في سبيلي حائلة دون قيامي بإنشاء الفرقة وكان الأستاذ نجيب الريحاني قد أنشأ الفرقة فانضممت إليها إلا أني لم ألبث بها طويلاً حتى تركتها والتحقت بفرقة حديقة الأزبكية ولكن فكر السينما لأزال نصب عيني، أعمل بكل ما لدي من قوى ليرى الناس يوماً من الأيام فيلم إيزيس.

الحلقة الثالثة

كلما مرت بي الأيام زادت فكرة السينما نماء وقوة، فلم يعد يشغلني غير أمل واحد، غير حلم واحد، غير فكرة واحدة: أن أكون يوماً من ممثلات السينما، أن يكون لي فيه مصري، في رواية مصرية،

هذا هو الأمل الذي وطدت العزم على تحقيقه. فكيف السبيل إليه!

ما أكثر العقبات التي في طريقي، وهل استطيع أنا أن أذللها وأقهرها وأسير إلى الإمام؟ أين أنا من تلك الشركات الغنية بأموالها ورجالها؟ وكيف الوصول إلى تحقيق هذا الأمل في مصر في بلد ليس به شيء معدات السينما، ليس به دار للتصوير السينما في (أستوديو) ليس به مصور مختص في ذلك النوع من التصوير، ليس به المدير الفني العالم المطلع على أسرار ذلك العمل العظيم، بل ليس به المعدات الأولية التي تحتاج إليها ذلك العمل.

أواصل الليل بالنهار وأنا أفكر، والطريق أمامي مظلم قاتم ليس به قبس من نور، على مقربة مني شركة التمثيل والسينما المصرية وعلى رأسها زعيم الاقتصاد في مصر بين رجال من ذوي المال الوفير، مع ذلك لم تجرأ هذه الشركة على إخراج الرواية المصرية، فهل أجرأ أنا؟

ها أنا أحاول أن اطرد هذه الحالات المظلمة من رأسي، ها أنا أقول في نفسي ذلك شيطان الشريفت في عضدي ونريد أن تكون له الغلبة علي، ها أنا أفكر: لئن تعذر كل ما أنا في حاجة إليه لتحقيق أمنيتي، ولئن تجمعت كل الصعاب أمامي، أليست هناك العزيمة، أليست العزيمة الصادقة كفيلة بأن تقهر كل عقبة، و تذلل كل صعب، أمامي كلمة نابليون العظم "ليس في العالم شيء مستحيل" فلتكن هذه الكلمة نصب عيني. ولا مض في سبيلي.

"لا بذل كل ما لدي من مال وقوة، ولا تذرع بالعزيمة الثابتة، ولا ضع قدمي لأخطو الخطوة الأولى في طريقي، فلن أرجع إلى الوراء".

حدثت كل من أعرفه عن مشروعي هذا ولكم سمعت من مثبطين ومشجعين، حتى بلغني أن في مصر رجلاً له دراية طيبة بالتمثيل السينمائي، وأنه يصلح لأن يكون مديراً فنياً بعد أن خبر ذلك العمل في أوربا وأن لديه شهادات تؤيده، فقلت هذا ضالتي، وأرسلت في طلب وداد عرفي.

***

تقدم إلى الرجل وحدثني كثيراً، وزين إلى الآمال العذبة السهلة، أراني أن في مقدوره إخراج في مصر أمثله أنا، وصادفت كلماته المنمقة هوى في فؤادي، فاطمأنت إليه نفسي، وثقت به الثقة كلها، ووعد في أن يتلو على رواية وضعها باسم (نداء الله) لتمثل وأنجز الرجل وعده وتلى على الرواية ورأيتها تصلح لبدء العمل وان لم تكن عظيمة قوية، فخير العمل ما بدأ صغيراً ثم نما وأنا لست من طلاب الطفرة والكمال. فاتفقت معه على العمل ووضعت يدي في يده آخذة على نفسي العهد أن لا أقصر في مال أو جهد ولكم كي رواية نداء الله من مال ومشقة وعذاب.

وتواعدت ووداد عرفي على يوم يحضر فيه مصور ونمضي جميعاً

إلى سقارة حيث يجب أن تمثل فاتحة الرواية.

وجاء ذلك اليوم وذهبنا إلى سقارة.

كن يوماً شديد القيظ، والشمس ترسل أشعتها الوهاجة الملتهبة في فضاء سقارة، فتكاد تحرق الوجوه، فلا أستقر بنا المقام ونصبت آلة التصوير وبدأنا العمل، كان علي أن أخلع حذائي، وأن أغدو فوق الرمال عارية القدمين صاعدة التل فمنحدرة منه وأن أكرر هذا اثني عشرة مرة والرمال كقطع من جمر تحت قدمي، وكنا على مقربة من كوخ ماربيت باشا، والذين يترددون على سقارة يعرفون ذلك الكوخ حيث يجتمع المتنزهون عم يلقون فضلات طعامهم والزجاجات الفارغة المحطمة فوق الرمال فكنت أعدو عدواً فوق قطع الزجاج فتسيل الدماء من قدمي حتى تغطيها الرمال التي فتحي نزيف الدم.

***

إنها السماء والهناءة والسرور كل هذه العواطف التي شملتني لم تدعني أحس بآلامي ولا أشعر بجراحي. أن للفن الجميل ملاكاً معي أهله وتحميهم، ها أنا أعدو فوق الرمال المحرقة، وقطع الزجاج الحادة وقدماي داهميتان وها أنا جذلة فرحة يزيد في غبطة وسروراً قبور أولئت العظام الراقدين حولي، أولئك الأجداد الأمجاد، والذين نحن إليهم كما تحن الأبناء إلى آبائها، بين أولئك الأبطال كنت أشعر أنني

بنت مصر، إنني أيضاً اعمل عملاً عظيماً، وأن ارواح ملوك مصر العظماء، ترفرف حولي مغتبطة مطمئنة لابنة النيل وهي ماضية في عملها لا سلاح لها إلا عزيمة صادقه وكلما هو بي هذا الخيال زدت قوة ونشاطاً.

واستمر العمل على هذا عدة أيام وكنا إذا حان وقت الطعام جلسنا فوق الأرض لنأكل ما أحضرنا من طعام منذ الصباح ولا أحسب إني ذقت يوماً من أيام حياتي طعاماً أشهى ولا أحلى من ذلك الذي كنا لنا و له فوق الرمال.

مرت الأيام وأنا أجاهد جهاد من لا يعرف التعب والكلل والشمس المحرقة تفعل فعلها في وجهي حتى كنت أحسبني في يوم من الأيام أصبح فإذا بي زنجية سوداء، ولكم ضحكت من صديقاتي اللائي كن يصادفنني ويلمنني على ما افعل طالبات منى أن أكف عن ذلك العمل الشاق تحت وهج الشمس وإلا... قضي على أن أكون سوداء!...

– يا عزيزة يا أختي، بهي في المراية وشوفي وشك!

– فليكن!

***

وانتهى العمل في سقارة وجاء الدور الثاني من العمل في مكان

آخر، كان علي أن أسير مخترقة حقلاً من الحقول المزروعة فانتقينا مكانا زرع قصباً لم يتم بعد نماؤه وأعدت أمامه آلة التصوير وبدأت في تمثيل دوري فكنت أعدو مخترقة أعواد القصب القصيرة متنقلة من مكان إلى آخر ولكم آلمتني هذه الأعواد الحادة وأدمت ساقي وأنا ماضية في عملي في غير مبالاة حتى كان يوماً توقف فيه المصور عن العمل رحمة في حين رأى الدماء تسيل على قدمي، وتوسل إلى أن أستريح من هذا العناء فأبيت وما زلت أتوسل إليه أن يواصل عمله حتى عاد إليه وهو يتألم.

وانتهى الطور الثاني من تمثيل الفلم وبقي على أن أمضي إلى قرية من قرى الفلاحين حيث أمثل دور الفلاحة في قريتها. وهي جالسة على صفة غدير ماء تفكر فيمن تحب. لعل رمال سقارة المحرقة، وأعواد القصب الشائكة لا تعد شيئاً إلى جانب ما صادفته في تلك القرية من متاعب وشقاء، فلم نكد نصل إليها ونبدأ العمل فيها حتى هرع إلينا أهلها فالتفوا حولنا من عمدتها إلى شيخ البلد إلى رجالها ونسائها وأطفالها، جاءوا كلهم يشاهدون ما نفعل، وكان لا يحسن لهم الوقوف إلا أمام آلة التصوير يتطلعون إليها فنكف عن العمل ونسألهم في رفق ولين أن يتنحوا عن الطريق قليلاً فيتفرقوا حينا فنعود إلى العمل ولا نكاد نبدأ التصوير حتى يعودون إلى الوقوف والتجمع حولنا.

جاهدنا كثيراً وهؤلاء القوم وتعبنا كثيراً أما الأطفال، فاستطعنا أن نفرقهم بعد أن دفعنا لهم ضريبة فرضت علينا.. أما الرجال فأبوا أن ينقلوا أقدامهم إلا بعد أن نأخذ صورهم فنعطيها لهم. وعبثاً حاولنا أن نفهمهم أن هذه ليست آلة التصوير التي يعرفونها، ومضينا في عملنا ونحن نقاطع كل حين بمثل هذه المضايقة. ثم تتقدم إليّ نساء القرية يسألنني عما أفعل وأجبن عن أسئلتهن الكثيرة المتعددة، وأبذل جهدي في تعليمهن، فلا يدركون شيئاً مما أقول. ولكم كنت أتألم وأنا أسمع أولئك القرويات يتهامسن على مقربة مني منهمكات.

تعبت كثيراً وتألمت كثيراً وجاهدت كثيراً، ولكني موطدة العزم على المضي في سبيلي، لن تقهرني الحوادث وأن تجمعت. سأزلل كل صعب حتى أصل إلى غايتي.

الحلقة الرابعة

أتممنا أعمالنا في القرية وبانتهائها ختمت رواية "نداء الله" ومع المشاق والمتاعب التي كابدتها كنت أحس نشاطاً وقوة ما كنت أشعر بها أيام الراحة والبطالة. بل كنت أرى هذه الأيام خير أيام متعت فمها بصحة طيبة.

بدأ وداد عرفي بعد هذا في تنسيق الفيلم وترتيبه ووضع العنوانات لحوادث الرواية. ولما أتم هذا العمل طلب إلى أن ترسل الفلم إلى

الداخلية كما هو الواجب قبل عرضه. ألا إني كنت فكرت في أن أعرض الفلم أولاً في حفلة خاصة ندعو إليها جمعاً من الأدباء والنقاد، وكان أن أقيمت هذه الحملة في دار سينما يونيون حيث حضر غير قليل من الأصدقاء بين أديب وناقد وممثل. وعرض علينا الفلم....

الآن معذرة أيها الأصدقاء والأدباء، أعتذر إليكم يا من حملتم مشقة رؤية هذا الفيلم الغريب.. وصبرتم صبر الكرام في تلك الليلة التي ساقكم سوء الحظ إلى حضورها.

وليتصور القارئ رواية لا يمكن لأي إنسان أن يتتبع حوادثها التي تمر أمامه! صور مفككة، لا علاقة لإحداها بالأخرى، لا يستطيع أحد أن يدرك لها مغزى أو غاية.

هذه هي الرواية التي كابدت من أجلها ما كابدت بين الرمال المحرقة، وأعواد القصب، ومتاعب القرية، هذه هي خاتمة الآمال العذبة الجميلة التي كنت أقضي الليالي الطوال أحلم بها.

أكان كل هذا التعب، والعذاب، والمعارك مع القرويين، أكان كل هذا، من أجل هذه الرواية!.. لم أعد أشعر بشيء، لم أعد أحس شيئاً، كل ما حولي أصبح ظلاماً، أشد ظلمة من دار السيما!.. التف حولي أصدقائي، وأخذوا يعزونني بكلمات رقيقة عذبة وأنا لا أسمع شيئاً ولا أعي شيئاً. ثم ذهبت إلى بيتي وكان المرحوم عبد المجيد حلمي إلى

جانبي.

لن أنسى كلمات عبد المجيد، رحمه الله، لن أنسى حديثه تلك الليلة، لقد أعاد إلى نفسي الأمل، بكليات التشجيع التي كان يلقيها علي، أبان إلى أن سبيل الإصلاح أمامي ولا سبيل إلى اليأس.

صبراً، ولأجرب الحظ مرة أخرى..

***

وانتشر الخبر بسرعة، خبر سقوط فيلم" إيزيس" والمجلات المسرحية!... ها هي قصة جديدة هبطت عليها تملأ ها صحفاً، نقد وتهكم وسخرية وصور أشكال وألوان.. وشماتة الحساد والحاسدات!... مسكينة يا عزيزة! الأموال التي صرفت، التعب، المشاق، وإلا لسنة والأقلام أيضاً!... معلهش...

وفي وسط هذه العاصفة التي أثارها النقاد والكتاب، والصحف المسرحية، وفيما أنا يكاد اليأس يقتلني قتلاً، وفيما أنا حائرة لا أدري ماذا أفعل ولا أي طريق أسلك، أستقبل كل يوم جيوشاً من الأجانب والمصريين:أروام وطليان وفرنسيين جاءوا جميعاً يعرضون العمل علي، ويخبرونني أنهم من خيرة المديرين الفنيين المطلعين على أسرار السينما، وأنهم يستطيعون إصلاح الفلم وأن في وسعهم أن تخرجوا منه رواية من أحسن ما أخرجت شركات السينما.

أحدثهم عن كيفية العمل، وكيف السبيل إلى إصلاح الفلم، فأجد أنهم لا يعرفون لا كثيراً ولا قليلاً عن السينما والفلم ولا يفرقون بين السينما وغراف وأتومبيل فورد... ثم زارني أحد الأجانب – ولا أذكر اسمه الآن – ويقدم لي نفسه فأرى هذا أصلح من الجميع، وأرى أنه مطلع حقاً وخبير بالسينما فاتفق معه على العمل ويستلم القلم أحسن فليعمل هذا الرجل، باين عليه ابن حلال!..

وأخذ الرجل الفل وبدأ في إصلاحه وبعد بضعة أيام أرسل في طلبي إلى محل عمله فذهبت إليه وأراني الفلم!.. وإذا قلت الفلم فأنا أقصد قطعاً صغيرة من الشريط لا تتجاوز أطولها نصف متر!.. هذا هو فيم إيزيس! هذه هي رواية نداء الله!!

يضع الرجل يده على هذه القطع الممزقة ويقول لي في أنفة وكبرياء..! "أن الشروط التي اتفقا عليها لا تصلح" وأنه يطلب شروطاً جديدة، يريد أن يملي علي إرادته وقد أصبح الفلم في حالة يرثى لها! أنظر إلى ثمرة مجهودي وقد أصبحت في قبضة هذا الرجل الذي يعرض على الشروط الجديدة وأنا أسمها فاتحة فمي في دهش، يريد الرجل أن يقتلني قتلاً عن مذبح مطامعه. يريد أموالى وأموال جيراني وأصدقائي ولا تكفيه، وأرفض طلباته فيقدم لخ (كوم القلم) الذي بين يديه وهو يقول هذه في الرواية، فانظر إلى قطع القلم والى وجه رجل حائرة جامدة.. حتى تقدم زوجي إلى الرجل غاضباً وأوسعه ما يستحق من

اللوم رجمة قطع الروايات وخرجنا!.

كنت أبكي في الطريق بكاء مراً فيحاول زوجي نلسيتي، بكل ما أوتى من عطف وحنان يسألني أن أصبر وأن أؤمل ويخبرني أنه يأخذ شانه إصلاح الفلم وانه سيصلحه وأنه سيضحي بكل ما لديه من قوة وصحة في العمل أرضاء لي وأثرت في كلماته! وأخيراً اتفقنا على أن تتولى بأنفسنا إصلاح الفلم وشاركنا الأستاذ أحمد جلال في هذا العمل واتخذنا يدرون المنزل فعملا لإصلاح فلم إيزيس!!

لم يكن قد مضى على زواجنا شهر ونصف شهر ومع ذلك فقد كان محتماً علينا أن نقضي وقتنا كله في البدرون، والحر الشديد يكاد يخنقنا خنقاً. نبدأ العمل الساعة التاسعة صباحاً فلا تنتهي منه حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي!!

هذا هو شهر العسل! شهر قضيناه في البدرون وكانت في ضيافتنا، مشاركة إيانا في العمل جيوش البعوض الصغير التي وفدت إلى مصر في الصيف الماضي، تفرش على وجوهنا وأيدينا وتأبى إلا أن تظهر عطفها علينا بقبلاتها الحارة!.. بل تقدم نفسها ضحية لنا فتختلط بالطعام الذي نتناوله...

وأن وجب الشكر بين الزوجين، فحتماً عليّ أن أشكر زوجي، وتضحيته لراحته وهنائه في سبيل مرضاتي كنت أبداً أراه باسم ضاحكاً

متفائلاً وما هو من هواة السينما ولا المسرح ولا التمثيل ولكن أبى عليه كرم نفسه ألا أن يشاركني في حمل العبء الثقيل. وكنا نعيد قطع القلم ونصلها حتى نكون منها شريطاً. ثم نعرضه على أنفسنا ولكن لا تزال الرواية سخيفة، غير مفهومة. ونعيد العمل مرة أخرى ثم نعرضه، ولا تزال الرواية كما هي...

أخيراً وصلنا إلى النتيجة الحاسمة!... لا سبيل إلى أصلاح في هذه الرواية فلندعها وفلمها وفي سبيل الفن ما ضاع من جهد ومال والبركة في الأستاذ اسطفان روستي...

فكرنا في أن تقوم بتمثيل رواية أخرى مصرية عصرية، فاعترضتنا في هذا السبيل عقبة جديدة، الرواية الجديدة تحتاج إلى صالونات مثل فيها ولا توجد في مصر هذه الصالونات الخاصة بالتمثيل السينمائي لأن هذه يجب إقامتها وإعدادها بطرق خاصة بحيث تصلح للتصوير..

فلنعمل إذن رواية في الخلاء والعراء. هذا هو سبيلنا الوحيد!

وكاد اليأس يتولاني مرة أخرى، لولا أني جددت العزيمة فمازلت أجاهد وأقضي الليالي مفكرة حتى وفقت إلي وضع رواية "ليلى" رواية جديدة ضمت إليها فصلين مما أمكننا إصلاحه من رواية نداء الله.

واتفقت مع الأستاذ أسطفان روستي على أن يكون مديراً فنياً فعرض على في أول الأمر شروطاً قاسية وطلب مرتباً جسيماً، ولكن

أسطفان (رجل طيب) استطعت إقناعه بمرتب عادل، وأخذنا العهد على أن نعمل جميعاً في إخراج رواية ليلى ورائدنا الإخلاص أي مخرج لمصر أول رواية مصرية في السينما.

وفي صباح أول يوم بدأنا العمل أحضرت الفقهاء فقرؤوا في منزلي آي الذكر الحكيم. أما أنا فركعت في غرفة نومي أصلي وابتهل إلى الله أن يكلل عملنا بالنجاح!

الفصل الثالث

اليتيمة عزيزة

مذكرات عزيزة أمير في مجلة "الموعد" اللبنانية، وتستكمل فيها ما بدأته في المصور.وقد نشرتها الموعد تحت عنوان "اليتيمة عزيزة" وهو عنوان يستلهم شخصية " السفيرة عزيزة" التراثية المشهورة.

وسيتبين للقارىء أن المذكرات الثانية هي استكمال لحلقات المذكرات الأولى، لكن تختلف عنها في الصياغة، فمحرر المصور نقل المذكرات للقارىء كما أاملتها عليه عزيزة أمير، بينما في الحلقات المنشورة في الموعد جعل المحرر من نفسه راويا للأحداث، فظهرت صاحبة المذكرات باعتبارها " هي" وإن لم ينف ذلك عن المذكرات صفتها الشخصية جدا.

الحلقة الأولى

بدا اللقاء الأول الذي جمع بين عزيزة أمير، وبين الفنان الكبير يوسف وهبي، مثل الاتفاقيات المعلقة النفاذ على شرط بدونه تتحول إلى مجرد كلام، أو لمجرد حبر على ورق.

قالت له عزيزة:

أنا أحب التمثيل.. ولكن..

وقال لها يوسف:

- أرحب بك.. ولكن!

عزيزة اشترطت أن تصعد الهرم دفعة واحدة، وافقت على أن تقف على خشبة مسرح : "رمسيس" على أن تكون البطلة!.

أما عميد مسرح رمسيس فقد حاول الاعتراض قائلاً:

الأفضل أن تصعدي درجة درجة.

ولكنها تمسكت بموقفها قائلة:

- البطولة أو لا شيء!.

وابتسم يوسف لجرأة محدثته، التي لم تكن قد وقفت حتى على شاطئ الفن، وها هي تريد أن تصعد إلى القمة دفعة واحدة!.

فقال وهو يتأمل قامتها الرشيقة ووجهها المصري المريح:

هذا إذا ما استجبت لرغبتي..

- وما هي؟.

-اسمك..

- ماذا به؟.

- إنه قد يصلح لمدرَسة في الصفوف الابتدائية، أو بائعة في محلات "بالاتشي"، أما الخشبة فلها قاموسها الخاص، نجمات المسرح يجب أن يحملن أسماء براقة، قابلة للشهرة!.

وفكرت عزيزة، أو مفيدة برهة، ثم قالت:

- لا بأس في هذا.. وأي الأسماء تختار لي؟

وفكر يوسف بدوره ثم قال:

- عزيزة، لأنك كذلك فعلاً..

وصمت برهة، ثم أضاف:

- عزيزة أمير..

وهكذا أهدى عميد المسرح المصري، عميدة السينما المصرية، الاسم الذي به يذكرها التاريخ!.

***

وبدأ يوسف يكتب رواية جديدة خصيصاً من أجل بطلته الجديدة!.

فصل عليها الدور تفصيلاً، وذلك حتى "يلعب على المضمون"،

فلا تسقط هي، ولا بها تسقط الرواية، وضع لها خطوط مسرحية: "الجاه المزيف"، ثم انتهى من وضع النص كله في فترة زمنية قصيرة.

كان دور عزيزة في: "الجاه المزيف"، دور عروس، تنخدع في رجل ادَعى الغنى والجاه، في حين هو يفتقر إليهما.. ولكن لماذا دور العروس بالذات؟.

لأن من صفات العروس الخجل، والتردد، وعزيزة كان متوقعاً منها في أولى خطواتها، أن تخجل من مواجهة الجماهير، وأن يشل قدميها نوع من التردد، لذا لم يكن صعباً عليها أن تمزج بين الحقيقة وطبيعة الدور. ونجحت ابنة رجل البحر الذي ابتلعته أمواج العدم وهي بعد طفلة. وصفقت لها الجماهير في مسرح رمسيس طويلاً.

وفي ليلة العرض الأول، وجدت عزيزة في غرفتها باقة ورد كبيرة، وعندما مدت يدها لالتقاط البطاقة، وجدا يداً تسرع لتحتضن يدها، وقال لها صاحب الباقة:

- أنا سعيد جداً بنجاحك رغم كل شيء، وسوف تحققين في ميدانك الجديد المزيد والمزيد.

ولم يكن المعجب الذي حمل إليها الورود، سوى زوجها الأول.

***

وامتد عرض رواية: "الجاه المزيف"، خمسة شهور كاملة، وهو

رقم قياسي بالنسبة لكثافة الجماهير في منتصف العشرينات، وأصبحت عزيزة أمير في تلك الفترة الزمنية القصيرة نسبياً، حديث المجتمع الفني، وذاع اسمها وبدأت الجرائد والمجلات تورد أخبارها بالتفصيل، ومن بين ما روته عنها الصحافة، تفاصيل رحلتها إلى باريس.

وكانت أحلام عزيزة أمير، أكبر من أن تحتويها ستائر المسرح، كانت عينها على ذلك الفن الجديد، الوليد، الذي بدأ يفد على القاهرة وأيضاً الإسكندرية، ضمن علب مستديرة، وتعرض على رواد المقاهي والنوادي، كانت عينها على السينما، وقد قرأت مؤسسة السينما في مصر، مقالاً في مجلة أجنبية يتحدث عن اعتزام فرنسا تقديم أكثر من فيلم جديد، فركبت الباخرة من الإسكندرية إلى مرسيليا، ومن هناك استقلت القطار وقصدت العاصمة.

وحصلت على عناوين الشركة التي أعلنت عن إنتاجها الجديد، ثم توجهت لمقابلة المسئولين فيها.

ورأى فيها مخرج شاب ما اعتادت السينما منذ البداية أن ترى في الوجوه السمراء، المكحلة بعطر الشرق، رأى فيها أميرة عربية، من السهل أن تجتذب أقدر العشاق، فاجري اختباراً سينمائياً، اثبت صلاحيتها، وباتت من بعده مرشحة لبطولة الفيلم الأقرب.

ولكن، وفجأة أعلن المخرج أن عزيزة لا تتمتع بالموهبة، وأنها مجرد صورة بلا روح.

ولم يكن هذا صحيحاً، أما الرواية الأقرب إلى التصديق، فتقول إن المخرج أراد لتعاونه مع عزيزة، أن يذهب إلى ما هو ابعد من العلاقة بين مخرج ونجمة، فلما صدته اكتشف افتقارها إلى الموهبة.

***

ولم تيأس عزيزة، كما أنها لم تعد من رحلتها خالية اليدين فقد انتهزت الفرصة واشترت آلة تصوير سينمائي، من إنتاج الشركة التي كانت ستعمل معها، والتي تعرف باسم "بيبي باتيه"، أي آلة التصوير الأصغر، في العائلة التي تنتجها شركة "باتيه".

وعادت عزيزة أمير إلى الوطن، لتخوض التجربة الجديدة على نطاق ضيق، تجربة العمل في السينما، فقد استعانت بالفنان: استفان روستي، والذي كان مخرجاً ضمن الرعيل الأول من الهواة، قبل ان يتحول إلى ممثل ذي طابع خاص، هو طابع الشرير الذي يستعين بالنساء في تحقيق أهدافه، استعانت عزيزة بفنان الأمس اللامع، في إخراج بضعة مشاهد سينمائية، ليست هناك رابطة تجمعها، أو قصة تضمها، واشتركت عزيزة معها في التجارب الأولى الراقصة القديمة: "أمينة مُحَّد"، خالة الفنانة "أمينة رزق" والتي أنتجت وأخرجت فيلماً

بعنوان "تيتاونج" قدمت فيه نجم الثلاثينات وما بعدها "حسين صدقي" كبطل أول. واشتركت مع الاثنين ممثلة قديمة، يهودية الأصل اسمها نازلي مزراحي. أما البطولة فقد تقاسمها المخرج مع المطرب القديم، الذائع الصيت "صالح عبد الحي"، ولما كانت الأفلام صامتة، فقد كانت مهمة صالح أن "يمثل" أنه يغني.

وأضافت عزيزة أمير، إلى ما يقدمه صالونها الفني من نشاطات، العرض السينمائي.

وأعجب رواد الصالون بالفن الجديد، وبالبطلة السينمائية وأجمعوا على أن وجهها من أنسب الوجوه للكاميرا.

وهذه الاسكتشات السينمائية القديمة، جاءت بمثابة "البروفات" للدور الذي قدر لعزيزة أمير ان تقوم به فيما بعد، دور البطولة في أول فيلم مصري.

***

ولأن نشاط عزيزة أمير السينمائي، كان مجرد بواكير على شجرة لم تتم بعد، فقد رآها المسرح بطلة من جديد لأكثر من رواية قدمتها فرقة "رمسيس" ولعل أشهر هذه الأدوار كان دور "زينب" بطلة رواية يوسف وهبي الشهيرة "أولاد الفقراء" وهي الرواية نفسها التي اعتاد تقديمها فيما بعد على الشاشة، بالعنوان ذاته، ولكن ببطلة أخرى هي

"أمينة رزق".

ولعل رواية "أولاد الذوات" كانت أول رواية مصرية، يردد مشاهدوها إحدى عبارات الدور، وهو ما يعرف بعبارة "اللازمة" ففي أحد المشاهد، تصيح البطلة في وجه يوسف بك:

– روح الله يسامحك..

وقد التصقت بها العبارة، بحيث كانت الجماهير بدورها تصيح: روح الله يسامحك.. كلما لمحت عزيزة أمير في عربتها الخاصة، وهي في الطريق، من أو إلى المسرح.

ولكن السينما لم تحل بينها وبين العودة إلى المسرح. والمسرح بدوره لم يأخذها من السينما.

وبدأت عزيزة تفكر جدياً في أن تقدم للشاشة فيلماً روائياً على غرار الأفلام التي شاهدتها أثناء زيارتها الأولى لباريس، وفاتحت عزيزة امير في هذا صديقاً لها من أصحاب النفوذ، وهو "قليني فهمي باشا" أحد أعيان الصعيد، وأحد رجالات الأحزاب السياسية البارزين في العشرينات.

وقال لها قليني إنه على علاقة ببعض المديرين، في شركة للإنتاج الفرنسي، هي شركة "غومون" وكتب لها رسالة تزكية لدى مدير الشركة، فركبت الباخرة من جديد، في اتجاه فرنسا، وفي زيارتها الثانية

هذه لم تكن عزيزة تروم القيام ببطولة في فيلم فرنسي، وإنما انحصرت أهدافها في الطواف بالأستوديو، ومراقبة الطريقة التي يسير بها العمل، والاطلاع على الآلات والمعدات اللازمة، لتنفيذ الفيلم الذي تحلم به.

وعادت وقد اكتسبت خبرة عملية، وراحت تسعى جدياً لتنفيذ فكرتها.

***

واستشارت في الأمر صديقها استيفان روستي، الذي أخرج لها الاسكتشات الأولى، فرحب بمساعدتها، ولكنه اعترف لها صراحة، بأن إخراج فيلم طويل، يحتاج إلى خبرة من مارس العمل من قبل، في مثل هذا النوع.

وقالت بحيرة:

- ومن أين لنا بمثل هذا الرجل؟

ورد استيفان بعد تفكير:

– لقد سمعت بوجود واحد قادم من تركيا!

وعلى الفور قالت عزيزة:

- إذن، أحضره لي غداً.

وفي السادسة من مساء اليوم التالي، رنَ جرس الباب في بيت عزيزة أمير، ليدخل استيفان ومعه شاب طويل، وسيم، يتحدث العربية بصعوبة، وقال استيفان، يقدم الضيف الذي صحبه:

- الخواجة وداد عرفي.

وقدم وداد إلى عزيزة، بضعة أوراق مكتوبة باللغة الألمانية، فألقت عليها نظرة سريعة، ثم وقعت معه عقداً.. عقد إخراج أول فيلم مصري، تنتجه لحسابها الخاص.

الحلقة الثانية

حاصرت النيران عزيزة أمير، وأمها، وابنة أختها الطفلة يومئذ "بثينة" وكاد ت حول الثلاثة إلى قربان للألسنة الحمراء اللعينة لو لم تسارع زينب صدقي، إلى إنقاذ العائلة بأجمعها.

كانت زينب قد جاءت لزيارة صديقتها، وجارتها أيضاً "عزيزة" عندما رأت الحريق، فاستنجدت بالجيران الذين هبوا لإطفاء الحريق، بما طالت أيديهم من أوعية منزلية ملؤها بالماء في حين اتصل البعض منهم برجال الإطفاء، الذين وصلوا على وجه السرعة، وساعدوا في إخماد النار.

ووصل الزوج في تلك الأثناء، وما أن شاهد بقايا اللهب، حتى راح يصيح:

– عزيزة، عزيزة، عزيزة!.

ووجد أحمد الشريعي زوجته وقد أغمى عليها من الصدمة. واتضح من معاينة الشقة، أن ماساً كهربائياً قد تسبب في شرارة أمسكت بأحد الأبواب الخشبية، ثم انتشرت النيران بسرعة لتلتهم غرفة كاملة، بكافة محتوياتها، ومن بينها تسعة آلاف متر من الشريط "البوزيتيف" الخاص بالفيلم المحدد له تاريخ في سينما "أوليمبيا". واضطرت عزيزة أمير إلى أن تكلف الأستوديو بإعادة طبع ما أتت عليه النيران، وكانت النتيجة أن تأخر عرض الفيلم، وأن تكبدت عزيزة مصاريف جديدة، ارتفعت برقم ديونها. وإذا كانت كل ظروف "كفري عن خطيئتك" قد جاءت في غير صالح البطلة والمنتجة، إلا أن هذا الفيلم بالذات، كاد يفتح لعزيزة سوقاً جديداً للتوزيع.

***

الأميرة المزعومة

كان بين الذين شاهدوا الفيلم في القاهرة، صحفي انجليزي يراسل جريدة "أنديان ميل"، التي تصدر في "دلهي" وقد اختلط الأمر على المراسل، فكتب إلى جريدته يقول: "يبدو أن واحدة من أميرات الهند، اللواتي تحول التقاليد بينهن وبين التمثيل السينمائي، قد وجدت في فيلم صور في القاهرة، فرصة لإرضاء نزعتها إلى الفن، فقد شاهدت

بالأمس رواية تقوم فيها بطلتها بحب رياضي مصري مشهور، وقد اتضح لي أن البطلة هي ابنة أمير هندي معروف".

والظاهر أن معلومات المراسل كانت متواضعة، فقد خلط بين أداء عزيزة لدور الأميرة وبين الأميرات الحقيقيات، وأياً كان الدافع فالذي حدث أن بعض رجال السفارة الهندية في مصر، سارعوا لمشاهدة الفيلم، وعندما اكتشفوا الحقيقة، كتبوا تقريراً بالواقعة، وأرسلوه إلى وزارة الخارجية وفوجئت عزيزة أمير بعد فترة برسالة من إحدى شركات التوزيع السينمائي في بومباي، تعرض عليها أن تعد ثلاث نسخ من الفيلم، لعرضها في مدن الهند الرئيسية، واشترطت الشركة أن تصحب عزيزة الفيلم، لأن الجماهير تواقة إلى رؤية من جسدت شخصية الأميرة الهندية. وفرحت عزيزة بالعرض، وشرعت فعلاً في طبع النسخ، ولكن ظروفاً عائلية حالت بينها وبين السفر، فكان أن ضاعت منها الفرصة الكبرى.

***

عادت إلى فرقة "رمسيس".

واكتملت "مغامرات" الفيلم الثالث.. عندما أعرضت الجماهير عنه، فجاء الإقبال خفيفاً للغاية، وعجزت عزيزة بالتالي عن سداد ديونها من الإيرادات، فاضطرت إلى أن تبيع العمارة التي تملكها في

"جاردن سيتي" لتغطي خسارتها المادية.

وأخذت عزيزة إجازة من السينما، إجازة إجبارية. كانت السينما قد أدارت ظهرها لبطلة الفيلم "ليلى" لفترة على الأقل، فإن المسرح عاد يفتح لها ذراعيه.

عادت بطلة مسرحية "الجاه المزيف" إلى فرقتها الأولى العتيدة، فرقة "رمسيس" وظلت تشارك يوسف وهبي بطولة "البكائيات" التي كان يقدمها، وهو الاسم الذي أطلقه بعض النقاد على ميلودراما يوسف وهبي، التي لا تخلو أبداً من الكوارث، ثم حدث خلاف بينها وبين عميد فرقة "رمسيس" تركت على أثره العمل معه، وانضمت إلى فرقة نجيب الريحاني، وكانت بطلة لأغلب رواياته، وعندما خاض نجيب ميدان التمثيل السينمائي، اختارها بطلة لفيلمه القديم الناجح "بسلامته عاوز يتجوز".

ولم يكن نجيب الريحاني قد اتجه بعد إلى الكوميديا التي اشتهر بها، فأغلب مسرحياته التي اشتركت فيها عزيزة كانت درامية. وفي عام ١٩٥٥، كونت الحكومة المصرية أول فرقة رسمية ثانية لها هي "الفرقة القومية" وهي ما زالت موجودة إلى اليوم، وإن أعيد تنظيمها أكثر من مرة، وأصبحت تعرف حالياً باسم "المسرح القومي" وقد أعلنت إدارة الفرقة عند بدء تكوينها، عن حاجتها إلى ممثلين وممثلات، فتقدم إليها عدد من الجنسين، نجح البعض منهم في الاختبارات الأولية، وكانت

عزيزة أمير ضمن الرعيل الأول، الذي عليه اعتمدت الفرقة، وأكثر من هذا، فقد اختيرت عزيزة نظراً لماضيها السينمائي والمسرحي بطلة لرواية الافتتاح وكانت "أهل الكهف" للكاتب توفيق الحكيم، وأدت دور "بريسكا" فوصفها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين بعبارة "ذات الصوت الساحر".... وظلت عزيزة أمير، إحدى بطلات الفرقة المرموقات، حتى كانت تلك الحفلة التنكرية، التي سببت لها المتاعب.

***

وردت الإهانة.. بمثلها.

دعيت أم السينما المصرية، ذات مرة، إلى حفل تنكري إقامته إحدى الجمعيات النسائية، وتولت رئيسة الجمعية تقديم كل واحدة من المدعوات إلى الحاضرين، بعد انتهاء عرض الأزياء الخاصة والغربية، فلما جاء دور عزيزة، وكانت تلبس زياً رائعاً، على طراز ما كانت ترتديه "ماري أنطوانيت" آخر ملكات فرنسا، رفضت رئيسة الجمعية أن تقدم عزيزة باعتبارها ممثلة. وثارت عزيزة لكرامتها، وأعطت الرئيسة درساً قاسياً، قالت فيه إن الممثلة، لا تقل مكانة ولا كرامة عن بنات الذوات، وربما فاقت البعض منهن، وصفقت الحاضرات لما قالته عزيزة، مستعملة فيه مقدرتها على التمثيل، بالرغم من أن كلماتها كانت تعرض بالبعض منهن.

وأسرتها الرئيسة في نفسها، ولما كان أحد أعضاء لجنة ترقية التمثيل، التي كانت تشرف على الفرقة القومية من أقاربها، فقد لجأت إليه شاكية عزيزة، وطالبته بأن يثأر لها منها، واستجاب العضو لرغبة قريبته، فأوعز إلى أعضاء اللجنة، بالتقدم إلى الفرقة بطلب الاستغناء عن خدمات بعض أعضائها بقصد الحد من ميزانيتها. وفوجئ أعضاء الفرقة بالاستغناء عن عزيزة أمير!. استغنوا عن بطلة الفرقة "رمسيس" ونجمة أول فيلم مصري، وأيضاً الممثلة التي لمعت في بطولة أولى روايات الفرقة "أهل الكهف".

وما أن أبلغ القرار لعزيزة حتى توجهت إلى العضو الذي أوعز بفصلها، ولقنته درساً قاسياً، وكشفت عن الأسباب التي دفعته إلى ذلك، وكان من بينها سبب عاطفي. واضطر العضو، إزاء ما وجهته إليه عزيزة من اتهامات إلى تقديم استقالته من اللجنة.

***

الطلاق الثاني

تركت عزيزة المسرح القومي، لتجد في انتظارها أكثر من عرض من بعض الفرق الأهلية ولم تكن أغلب الفرق في تلك الفترة، تعمل لصورة مستمرة، لقلة عدد رواد المسرح، لذا تنقلت عزيزة بين عدد من فرق تلك الأيام، وأمكنها من دخلها أن تسدد بعضاً من الديون

المتراكمة عليها. وفي تلك الفترة انفصلت عزيزة عن ثاني أزواجها، وحصلت على الطلاق من زوجها أحمد الشريعي، شريكها في أفلام "إيزيس".

وأحمد كان سليل عائلة صعيدية عريقة، فوالده مُحَمَّد باشا الشريعي، تلقى دراسته في تركيا، وتزوج إحدى بناتها، ثم عاد إلى الوطن ليشرف على زراعة أطيانه، فلما توفى آلت إلى أكبر أبنائه أحمد إدارة الثروة من بعده. وكعادة كل ثري شاب، وجد أحمد من يزين له التردد على شارع عماد الدين وكان الشارع العتيد في ذلك الوقت مركزاً لأغلب الملاهي الليلية، وأيضاً مقراً للعديد من المشارب والمقاهي.

ويقول الصحفي القديم "علي النحاس" في مقال كتبه عن أم السينما المصرية، ونشر عام ١٩٢٥ في إحدى المجلات الفنية، إن أحمد الشريعي مدين بزيجته من عزيزة أمير إلى صحفي فني آخر هو "علي بليغ" فقد تعرف الأخير إلى أحمد في بعض ملاهي عماد الدين، وعرض عليه ذات مرة أن يصحبه لزيارة "إيزيس" وهو الاسم الذي كانت تدلل به عزيزة.

ويصف علي النحاس "إيزيس" أو عزيزة بسطور قليلة، ترسم لها صورة دقيقة.

***

العريس الثالث

يقول صحفي الأمس: "إن إيزيس في ذلك الوقت، كانت في نحو الثلاثين من عمرها، مكتملة الأنوثة، ملفوفة العود، لا بالطويلة ولا بالقصيرة، لا بالسمينة ولا بالنحيفة، فضلاً عن وجه جميل أميل إلى الاستدارة منه إلى الشكل البيضاوي يضاف إلى ذلك لباقة في الحديث، فقد كانت محدثة من الطراز الأول، تخاطبك بكافة جوارحها، حتى لتملك عليك نفسك، وتصبح أمامها طيعا، ومنذ أول نظرة وقع أحمد الشريعي في شرك هواها.

هكذا كان اللقاء الأول، وتلك كانت صورة الحبيبة، وبعدها بفترة قصيرة، تم زواج أحمد الشريعي من عزيزة أمير بالرغم من معارضة أسرة العريس الصعيدية في أن يتزوج عميدها الشاب من ممثلة، ولكن متى كانت التقاليد تقف سداً في وجه نهر الحب؟!.

وقد استمرت الزيجة سنوات، إلا أن تورط الزوجين في عملية الإنتاج، والخسارة التي مُني بها كل منهما، كانت بلا شك من العوامل التي أدت إلى الانفصال.

والغريب أن عزيزة أمير، تزوجت بعدها من مصطفى الشريعي، أحد أبناء الأسرة ذاتها، فقد أحبها مصطفى لفترة طويلة، فلما انفصلت عن أحمد كشف لها عن عاطفته المكبوتة وطلب يدها. وحملت عزيزة للمرة الثانية لقب "مدام الشريعي".

ليلة أم كلثوم

ولم تكن مرحلة المسرح الجديدة لتخلو من العمل السينمائي، فقد مثلت عزيزة دور "زينب" في رواية يوسف وهبي الشهيرة "أولاد الذوات" وذلك بعد أن حولها كاتبها إلى قصة سينمائية، أخرجها ومثلها وجاء الفيلم من أوائل الأشرطة المصرية الناطقة.

وكان من عادة أم السينما المصرية، أن تأخذ إجازة من المسرح يوم الثلاثاء من كل أسبوع، فهذا اليوم هو الموعد لاجتماع الصديقات والأصدقاء في صالونها وكان بين المترددات على الصالون المطربة القديرة منيرة المهدية، وتربطها بعزيزة صلة قرابة، علاوة على الصداقة، والفنانة الكبيرة زينب صدقي، ودولت أبيض زوجة عملاق المسرح جورج أبيض، وغيرهن، وكان من عادة صالون عزيزة أمير، أن يعقد أيضاً جلسة استثنائية في الخميس الأول من كل شهر، وكان هذا اليوم هو الموعد الكبير بالنسبة لعشاق الفن الأصيل، ففيه كانت تقدم الإذاعة حفل أم كلثوم الشهري الكبير.

وعلى الأرض كانت المدعوات يلتففن حول جهاز الراديو، فيتسمعن إلى شدو أم كلثوم، ثم يبكين.. فلم يكن بين الحاضرات واحدة خلا قلبها من الحب.

الحلقة الثالثة

لم يكن صالون عزيزة أمير هو الوحيد الذي يجمع شمل الصديقات أسبوعياً، وإنما كان هناك صالون أخر، هو الذي كانت تدعو إليه المطربة منيرة المهدية، وذلك في يوم الخميس الأول من كل شهر، الذي كان محجوزاً لسهرة أم كلثوم عند عزيزة، وكان الذين يترددون على منيرة، يفاجئون بتصرف غريب من قبل خادمين، كانا يفتشان الجميع. وعملية التفتيش كانت تتم قبل الدخول، وليس بعده، وكان لغرض منها مصادرة أية "مادة سحرية" يمكن أن يلقيها البعض في بيت منيرة، فقط أصيبت المطربة الكبيرة في فترة ما بداء "الوسوسة" فكانت تتخيل أن هناك من يريد أن يسحر لها حتى تفقد مكانتها في عالم الطرب.

ومع الوقت اعتادت منها الصديقات كل هذا التصرف، فلم تعد أية واحدة منهن تتضايق من التفتيش. ويبد أن العدوى قد انتقلت إلى عزيزة أمير، ولكن بأعراض أخرى، فقط أصيبت أم السينما المصرية في فترة زواجها من "مصطفى الشريعي" الأولى بنوع من الاضطراب العصبي فشل الأطباء في معرفة أسبابه، وأيضاً في علاجه ونصحتها صديقتها الفنانة زينب صدقي، بأن تقيم حفلة "زار" لعل دقات الطبول و"التنقير" أي هز الجسد والرأس معاً، ينجحان حيث فشلت الأدوية والعقاقير. وعملت عزيزة بنصيحة صديقتها فأقامت "الزار"

ودعت إليه عدداً كبيراً من الصديقات والأصدقاء وفوجئ الحاضرون بتلبية "محمد توفيق رفعت باشا" للدعوة الغريبة.

وكان رفعت باشا يومئذ رئيساً لمجلس النواب مجلس الشعب اليوم، وكانت تربطه صداقة قوية بعزيزة، وبالرغم من أن رفعت باشا كان قطباً من أقطاب السياسة، ووزيراً سابقاً لأكثر من مرة، وأخيراً رئيس المجمع العلمي اللغوي، علاوة على كونه دكتوراً في القانون، إلا أنه في حياته الخاصة كان بسيطاً للغاية، لا يتنكر لأصدقائه ومن هنا لبى دعوة عزيزة ولم يبال بالذين نصحوه بألا يظهر في حفلة زار تقيمها ممثلة.

***

أكثر من باشا.. في الصالون

ورفعت باشا لعب دوراً هاماً في حياة عزيزة أمير الخاصة، فهو الذي أزال العقبات من طريق زواجها بأحمد الشريعي، لأنه مثله كان من مدينة "المنيا" ومن أصدقائه كبار رجال الأسرة، ثم هو نفسه الذي اشرف على تسوية الخلافات بين الزوجين، عندما اتفقا على الطلاق، ونصح أحمد بأن يدفع لزوجته السابقة مبلغ ألف ومائتي جنيه، صوناً لحقوقها، وحتى لا يذهب الاثنان إلى المحاكم بعد العشرة الطويلة والحب الكبير.

ورفعت باشا كان احد ثلاثة باشاوات يترددون على صالون عزيزة، والآخران هما طلعت حرب باشا، الذي طالما وقف إلى جوارها في أزمتها المالية، وقليني فهمي باشا، الذي أوصى بها الشركات الفرنسية، ويسر لها الحصول على معدات الأستوديو، ويروي عن قليني باشا أن إعجابه بعزيزة تعدي درجة الإعجاب الفني، ويدللون على هذا بأن عزيزة أمير عندما انصرفت عن الاهتمام به، دعا قليني باشا ملكة جمال تركيا بلقيس لزيارة القاهرة، وأقام لها أكثر من حفل، فلم تحضر عزيزة أياً منها بل اعتذرت عنها جميعاً مما جعل قليني باشا يشعر بأنه انتصر عليها، وجعلها تغار.

والواقع أن عزيزة لم تكن تغار من بلقيس وإنما هي منذ اختلفت مع وداد عرفي، مخرج أول أفلامها باتت تشعر بكراهية شديدة للأتراك وذهبت في هذا إلى ابعد مدى، فقد حدث مثلاً أن توجه إليها في غرفتها أحد الباشاوات من العائلة المالكة السابقة ليعبر لها عن إعجابه برواية اشتركت فيها مع الريحاني وانحنى الباشا ليقبل يدها، فسحبتها على الفور. ولما استنكر الحاضرون فعلتها، زعمت للباشا أنها مصابة بحساسية في يديها، وأنها لم تشأ أن تنتقل إليه عدواها.

***

عزيزة طرزانة

واستبد الحنين إلى الشاشة بعزيزة أمير، فعاودت أم السينما المصرية إلى الوقوف أمام العدسات. عادت نسخة نسائية من طرزان. والرواية الشهيرة التي كتبها "أدغار رايس بوروز" والتي لا زالت تغذي الشاشة بالمزيد من المغامرات، أساسها ذلك الرجل الذي عاش في الأحراش سنوات، فلما أرادوا استئناسه كانت المغامرات المثيرة.

ومن نفس الخيوط جدلت عزيزة أمير نسيج فيلمها "وادي النجوم" فقط كانت البطلة فتاة متوحشة، نشأت بين الوحوش في الغابات، وزارت القاهرة فنفرت من مظاهر المدينة.

ولم يتقبل الجمهور الفكرة، وأيضاً لم يهضم عزيزة أمير في دور يجردها من أنوثتها، فسقط الفيلم، وعاود عزيزة المرض النفسي، بسبب الفشل، فلزمت الفراش لثلاثة شهور كاملة.

وعندما شفيت وضعت حول عنقها مصحفاً في علبة من الذهب، فلم تعاودها الآلام، وقد تعلقت بالمصحف الذهبي، فلم تكن تخلعه من السلسلة أبداً، وحدث، بعد أن تزوجت محمود ذو الفقار، أن نسيت المصحف في البيت، فشاءت الصدف أن تصاب بحادث سيارة، فلم تعد تغادر البيت بعدها، إلا بعد تتحسس المصحف لتتأكد من وجوده.

وبقدر ما كانت عزيزة تتفاعل بالمصحف الشريف حول عنقها بقدر ما كانت تتشاءم من الرقم ١٣. لم تكن بأية حال لتغادر البيت في مثل ذلك اليوم من كل شهر، ولم تكن لتشرع في عمل في اليوم "المنحوس" أياً كانت أهمية العمل، وقد خالفت القاعدة مرة واحدة، وذلك عندما حدد "أستوديو مصر" يوم ١٣ لعرض فيلم "حبابة" الذي أنتجه، ومثلته عزيزة واضطرت إلى حضور حفل العرض الأول، وفوجئت أثناء مغادرتها للدار، بالمظاهرات المناوئة للحكومة في ذلك الوقت تسد الشوارع، وعادت عزيزة إلى السينما، وبقيت بها الساعات، حتى خلا الشارع من الطلبة بعد أن تدخل رجال الشرطة لتفريقهم. وأغلقت دور السينما في القاهرة أبوابها لمدة ثلاثة أيام.

***

بياعة التفاح

والحنين إلى السينما، كان مثل نوبات الملاريا، يستبد بعزيزة أمير بين الحين والحين، فلا تستطيع مقاومته.

وبعد كل فشل، وقد صادفته لأكثر من مرة، كانت أم السينما المصرية تتقوقع لفترة، غالباً ما تقضيها على خشبة المسرح، ثم تعاود التفكير في فيلم جديد.

درس "وادي النجوم" أفادها كثيراً بالرغم من الخسارة المادية، فقد

اهتدت إلى لون الأفلام الذي ترفضه الجماهير، وإلى اللون المقابل الذي تفضله، ومن هنا، بدأت تضع الخطوط الرئيسية في رواية جديدة، اختارت لها عنوان "بياعة التفاح" ولم تكن تدري أن هذا الفيلم بالذات، سيكون نقطة تحول هامة في حياتها، أن على الصعيد الفني، أو على الصعيد الشخصي.

في هذه المرة الجديدة، استعدت عزيزة أمير للإنتاج أكثر من ذي قبل، وذلك بعد أن استفادت خبرة من تجاربها السابقة، والقصة تعاونت مع المخرج حسين فوزي في كتابة السيناريو الخاص بها، وعهدت إليه بمهمة إخراجها، ولم يكن حسين غريباً بالنسبة لعزيزة أمير، فهو شقيق الصحفي، الذي أعاد صياغة فيلمها الأول "ليلى" والذي مثل أمامها دور الشرير، كما أن حسين نفسه قام بأحد الأدوار في الفيلم، وقد عمل حسين فوزي مثله في هذا مثل أخيه أحمد ومثل شقيقه الثاني "عباس كامل" في حقل الصحافة قبل أن يتحول إلى الإخراج، وإذا كان أحمد محرراً، فقد عمل حسين وعباس في مجال آخر هو الرسم الكاريكاتوري.

***

البحث عن وجه جديد

انتهى وضع القصة، وتمت الترتيبات المادية للشروع في الإنتاج،

وتعاقدت عزيزة مع حسين فوزي على الإخراج ولم تبق إلا مشكلة وحيدة للبدء في التصوير. لم يبق إلا العثور على البطل.

التقت رغبة المخرج والمنتجة عند نقطة مشتركة، هي أن يكون البطل وجهاً جديدة، وذلك لسببين:

- الأول أن عزيزة كانت ترى النجوم من أبطال المسرح، متأثرين بالأداء المبالغ فيه المطلوب على الخشبة وهي لم تكن تريد ذلك.
- والثاني أن توفر لشركتها بطلاً خاصاً، يكون على استعداد للوقوف أمام الكاميرا، فلا تشغله أعمال أخرى.

وبدأت عملية البحث، كل منهما كان يبحث في اتجاه. حسين راح يزور النوادي، والمقاهي، بحثاً عن ضالته، وعزيزة بدورها بحثت عنه صالونات صديقاتها. ولكن أي منهما لم يخرج بنتيجة.

ثم ظهر البطل فجأة.. ظهر البطل المرتقب بين مكاتب وزارة الأوقاف، أخر مكان يمكن أن يبحث فيه حسين فوزي عن وجه جديد.

***

لقاء.. غير مجرى العمر

كان حسين قد توجه إلى زيارة الأوقاف، لإنهاء بعض الإجراءات الخاصة بقطعة أرض، كانت تملكها الأسرة بطريقة الحكر، وفي مكتب الموظف المختص، رأى حسين موظفاً أنيقاً، يجلس إلى مقعد مجاور، وينشغل بمراجعة بعض الأوراق، واستقرت عينا المخرج طويلاً على الموظف الآخر، فقد كان بتسريحة شعره، وشاربه الرفيع، وملامحه قريباً في الشبه من نجوم هوليبود في تلك الفترة، النجوم الذين يتسمون بالملاحة، أمثال "روبرت تايلور، وتايرون باور".

وافتعل حسين فوزي مناسبة، وراح يتحدث إلى الموظف الوسيم، تناول في حديثة موضوعات عدة، اكتشف معها أن الموظف واسع الإطلاع، إلى جانب أناقته ووسامته، وأدرك حسين على الفور، أنه اهتدى إلى من طال البحث عنه.

فجأة سأل الموظف المخرج:

- حضرتك بتشتغل إيه؟

ورد حسين:

- مخرج في السينما

وصاح الموظف:

- ياه ده أنا بحب السينما جداً تبقى تعرفنا على أفلامك

وتناول حسين خيط الأسئلة، فقال:

- شفت أفلام عزيزة أمير.

وأجاب بحماس:

- كلها

- على كده تحب تقابلها؟

- ياريت

- خلاص

- خلاص إيه يا أستاذ؟

- تيجي معايا..

- فين؟!

- عندها..

- إيمتى؟!

- النهارده..

- مش معقول!!

– مافيش حاجة مش معقولة.

وفي مساء اليوم نفسه، توجه حسين إلى بيت عزيزة، ومعه الموظف الوسيم، وعرفها قائلاً:

– نجم شركتنا الجديد

وقبل أن يفيق الموظف من وقع المفاجأة، سألته عزيزة وهي تتأمله بكل إعجاب:

- اسمك إيه يا أستاذ؟

ورد بأدب واحترام:

– محمود ذو الفقار

ورن الاسم في أذنها.. وتردد صداه طويلاً في حياتها كلها.

الحلقة الثالثة

أعجبت عزيزة أمير بالوجه الجديد محمود ذو الفقار، الذي اكتشفه المخرج حسين فوزي، بين مكاتب وزارة الأوقاف، حيث كان يعمل موظفاً، ونظرت إلى حسين، نظرة خاصة، متفق عليها سلفاً، فقد قدمه مكتشفه على أنه بطل الفيلم الجديد.

تم الاتفاق المبدئي بين عزيزة أمير، وبين أول من دخل ميدان الفن من أبناء عائلة "ذو الفقار" على أن يقوم ببطولة الفيلم الجديد "بياعة التفاح" وبدأ محمود فعلاً يتلقى تدريبات على يد المخرج حسين فوزي، ويُجري بعض البروفات أمام عزيزة، إلا أنه وقعت مفاجأة لم تكن في الحسبان، فقد أصرت الشركة الموزعة للفيلم الجديد، والتي كانت تسهم بمبلغ كبير في التمويل، أن تسند البطولة إلى "سليمان بك نجيب" مدير دار الأوبرا، باعتبار أنه من نجوم السينما المعروفين وأن ظهور وجه جديد قد يؤثر على دخل الفيلم.

وتمسكت عزيزة أمير بالشاب محمود ذو الفقار، وأدى الموقف المتشدد من الجانبين، إلى فسخ عقد توزيع الفيلم، وتعاقدت عزيزة مع شركة "فنار فيلم" التي كانت تملكها الممثلة "بهيجة حافظ" إحدى رائدات السينما، من دفعة عزيزة، على توزيع الفيلم بدلاً من شركة "بهنا".

وكان الأجر المتفق عليه للبطل هو عشرون جنيهاً فقط لا غير.

عشرون جنيهاً عن الفيلم كله، وليس عن أسبوع واحد، كما قد يتبادر إلى الأذهان. وبدأ تصوير الفيلم في اليوم التالي لتوقيع العقد.

الفيلم كان يروي قصة بائعة تفاح، تقع في حب شاب وسيم، فيغير حياتها تماماً، أي أنه باختصار كان يروي قصة حب بين البطلين.

وقربت المشاهد العاطفية بين الاثنين، فشعر كل منهما أثناء العمل، أن هناك وشيجة ما قد بدأت تشده إلى الآخر. ونجح الفيلم الجديد نجاحاً كبيراً، بل لعل "بياعة التفاح" هو أول فيلم لا تخسر فيه عزيزة أمير، ولا تحاصرها بسببه الديون، لذا تفاءلت مؤسسة السينما المصرية بمحمود ذو الفقار واختارته بطلاً للأفلام التي قدمتها للشاشة بعد "بياعة التفاح" وهذه الأفلام هي فيلم "الورشة" الذي أخرجه استيفان روستي مخرج أول أفلامها عام ١٩٤٠، و"ابن البلد" لنفس المخرج، الذي انتهى تصويره عام ١٩٤٢ إلى آخره.

وإزاء نجاحه على الشاشة، وانشغاله بالأفلام قدم محمود ذو الفقار استقالته من العمل الحكومي في وزارة الأوقاف، وتفرغ للسينما خاصة وقد بدأ يتلقى عروضاً من غير عزيزة أمير، إذ اختاره نيازي مصطفى عام ١٩٤١، بطلاً لفيلم من إنتاج أستوديو مصر هو "مصنع الزوجات" أمام كوكا، والوجه الجديد، التي تألقت فيما بعد "ليلى فوزي".

وتفرغ محمود للسينما، وخوفاً من أن يجتذبه العمل في أفلام الآخرين، أدخلته عزيزة أمير شريكاً في "أمير فيلم". ولم يكتف محمود بما حققه من نجاح فني ومادي، بل أصبح وهو الشاب الطموح، بعد شهور قليلة الرجل الأول في الشركة، كما في قلب صاحبة الشركة.

***

منافس.. أنور وجدي

وكان طبيعياً أن يشعر مصطفى الشريعي زوج عزيزة أمير الثالث، بالغيرة من الرجل الذي آلت إلى يديه مقاليد الأمور، وبدأ الزوج يضع العقبات في طريق زوجته ثم طالبها صراحة بأن تتوقف عن العمل السينمائي، وكان طبيعياً أن يتفجر الموقف، وأن تحدث بين الاثنين أزمة كبرى. ولجأت عزيزة إلى قليني فهمي باشا، باعتباره صديقاً لأسرة الشريعي، ومرة أخرى تدخل الباشا لدى "بلدياته" وأقنعه بالانفصال بالحسنى، بعد أن وصلت العلاقة إلى نقطة اللاعودة. ووقع الطلاق بعد أن تنازلت الزوجة عن كافة حقوقها من نفقة ومؤخر صداق.

***

الطلاق الثالث

كان ذلك في نهاية عام ١٩٤٤، وفي مطلع العام التالي، تحولت الشركة السينمائية بينها وبين محمود ذو الفقار إلى شركة عمر، تزوج الاثنان واضعين لقصة الحب الكبير النهاية الطبيعية. وأصبح محمود ذو الفقار بعد الزواج والنجاح، المنافس رقم واحد لفتى الشاشة الأشهر أنور وجدي.وتوالت أفلام الثنائي "عزيزة أمير ومحمود ذو الفقار". وقدمت عزيزة أمير بعد الزواج إلى محمود ذو الفقار هدية.

***

هدية العمر

اختارته مخرجاً لفيلم بعنوان "هدية" فكان اسماً على مسمى. انتقل محمود، الذي اكتسب خبرة من خلال عمله مع أكثر من مخرج خاصة نيازي مصطفى، وحسين فوزي، فانتقل إلى ما وراء الكاميرا، شأنه في هذا شأن أنور وجدي، الذي سبقه إلى الإخراج بعامين.

وتوالت الأفلام التي قدمها الثنائي، ومنها "ابنتي" و"فوق السحاب" و"غلطة العمر" وغيرها. ولم يقتصر نشاط الشركة على الأفلام التي تجمع بين الزوجين، فقد رأت أن تعهد عزيزة إلى نيازي مصطفى، بمهمة إخراج فيلم كوميدي بعنوان "طاقية الإخفاء"، عرفنا بجميل نيازي، لأنه رشح محمود بطلاً لفيلمين من إخراجه هما "مصنع الزوجات" و"الآنسة بوسة" وقام نيازي بإخراج الفيلم فعلاً، بميزانية محدودة للغاية، وبأبطال نصف معروفين، في مقدمتهم شكوكو.

وجاءت الإيرادات مذهلة، فقد حقق الفيلم المبني على الخدع السينمائية، لعبة نيازي المفضلة، أرباحاً خيالية، مكنت الزوجين من أن يشيدا لحبهما فيللا جميلة في شارع الهرم أطلقا عليها اسم "فيللا التفاح" تيمناً بعنوان الفيلم الذي جمعهما.

***

في غرفة العمليات

وأصبح الثنائي عزيزة ومحمود مضرباً لمثل الحب، مثلهما في هذا مثل جميل بثينة، وكثير عزة، وغيرهم من عشاق التاريخ وأبطاله في القديم، وقد وقع حادث أكد للجميع أن الحب الكبير يقسم كل شيء على طرفيه، حتى المرض يقسمه.

حدث أن كانت عزيزة مشغولة بالإشراف على مونتاج أحد أفلامها عندما شعرت بآلام مبرحة، استدعت نقلها إلى المستشفى على وجه السرعة، بناء على نصيحة الطبيب الذي استدعاه محمود، وشخص الأطباء أعراض عزيزة على أنها التهاب في الزائدة الدودية، وأدخلوها إلى غرفة العمليات على الفور، وفيما كان محمود ينتظر خروج زوجته، إذا به يسقط على الأرض وهو يتلوى من الألم.

وأسرع إليه الطبيب يفحصه، فإذا به يكتشف إصابته بالزائدة الدودية أيضاً، وما كادت عزيزة تغادر غرفة العمليات، حتى نقلوا إليها زوجها، الذي أجرى العملية نفسها.

ونقل الاثنان إلى غرفة واحدة، وإلى سريرين يواجه أحدهما الآخر, بعد أن خلصهما جراح واحد من ذات العلة، وفسر الزوار ما حدث، على أن محمود من فرط حبه لعزيزة، أصيب بنفس العلة، أو الأزمة بعدها بدقائق.

وقرب ما حدث كثيراً بين عزيزة وبين زوجها، بعد أن اثبت لها انه يشاركها حتى آلامها الجسدية. وبقدر ما كان محمود يحب عزيزة بقدر ما كان يغار عليها. وغيرته كانت جنونية، فهو يغار من زملائه ومن الفنيين، وحتى من المعجبين. وفي حالات كثيرة، كانت الغيرة تفقد القدرة على التصرف السليم.

***

الرصاصة.. الطائشة

وفي الإسكندرية كاد محمود يتحول إلى قاتل. فقد حدث أن سافر الاثنان إلى المدينة الحلوة، لقضاء بضعة أيام من فصل الصيف، تسبق دخول الأستوديو لتصوير فيلم جديد، ونزل الاثنان في فندق "سان ستيفانو" وهو فندق شهير كان أغلب نزلائه من الوزراء، ورجال السياسة، وأبناء الطبقة الراقية، وحدث أن كان الزوجان جالسين في إحدى قاعات الفندق، حين قام شاب وسيم كان يجلس مع زميل له، وقدم نفسه لمؤسسة السينما المصرية على أنه معجب، وأخرج من جيبه علبة مخملية، فتحها لتكشف عن خاتم ذي وميض نادر من الماس، وقدمها هدية إلى عزيزة أمير، وسعدت النجمة الكبيرة بالهدية، واستضافت المعجب الكريم إلى مائدتها، وفي اليوم التالي، وأثناء تناولها للعشاء مع محمود، تقدم الشاب الآخر، الذي كان يجلس بالأمس مع مقدم الخاتم، وانحنى يقبل يد عزيزة، ثم أهداها فصاً من الماس، يفوق

الأول بريقاً.

وكان طبيعياً أن تدعو مؤسسة السينما المصرية صاحب الهدية إلى الانضمام إليهما وفجأة دخل صاحب الخاتم وهو غاضب، واشتبك مع زميله في شجار ثم سحب مسدسه من جيبه وراح يهدده، وهنا ثار محمود على الشابين، واختطف المسدس من يد حامله، فانطلقت منه رصاصة كادت تصيب أحد النزلاء. وانتهت المعركة بتدخل بعض كبار الموجودين، وتم احتواء الأزمة.

وفي اليوم التالي، اكتملت القصة، فقد طلبت سيدة وقورة مقابلة عزيزة وروت لها كيف أن ابنها استولى على فص الماس من خزانتها ليقدمه إليها، ورجتها أن تعيد إليها ما أخذته لأنه جزء من هدية زواجها، وقد يتسبب اكتشاف زوجها لغيابه في أزمة تطيح بهنائها، وربما أدخلت ابنها إلى السجن. ورق قلب عزيزة لحال الأم، فأعادت إليها ما قدمه الابن، ثم حزمت حقائبها وعادت مع محمود إلى القاهرة، خوفاً من تصاعد الأحداث.

***

وهوى بيده.. على وجهها

وبقدر ما كان محمود، الزوج الرابع، يغار على عزيزة، بقدر ما كانت غيرته تتحول، في لحظة الثورة، إلى محاولة لإيذاء المحبوبة، وحدث

أن طلبت عزيزة إلى رسام شهير في تلك الفترة هو "ادمون صوصة" أن يرسم لها لوحة زيتية لتعلقها في الصالون الكبير في فيللا التفاح، وتطلب الأمر بضع جلسات تقف خلالها عزيزة أمام الرسام، لينقل ملامحها إلى الورق.

ولم يرتح محمود كثيراً إلى طريقة الفنان في الرسم، لأنه على عادة الفنانين، كان يمد يده إلى وجنة عزيزة، ليصلح من وضع الوجه، أو من طرف الثوب.

وانتظر الزوج حتى اكتملت اللوحة، وعلقتها عزيزة فعلاً في الصالون، ليبدي رأيه فيها بطريقة لاذعة، ثم سألها:

- كم دفعت ثمناً لها؟

وقالت:

– دفعت مائتين وخمسين جنيهاً

وانتهزها محمود فرصة ليثور قائلاً:

- هذا سفه!

وردت عليه عزيزة مدافعة عن تصرفاتها، فإذا به ينفعل، ويرفع يده ليهوى بها على وجهها. وذهلت عزيزة لما حدث، وتحجرت الدموع في عينيها من باب عزة النفس، ثم انسحب إلى غرفتها في

هدوء. كانت هذه أول مرة يضربها فيها رجل. وكان هذا الرجل هو أحب الرجال إلى قلبها.

وربما جسد هذا الوضع الصفعة في أكبر من حجمها، وانتظر محمود ريثما هدأت أعصابه، وتوجه إلى عزيزة في غرفتها فلم يجدها، ونظر إلى خزانة ملابسها المفتوحة، فإذا به يكتشف أنها أخذت أغلب ما كان معلقاً في داخلها. وهنا اكتشف أن عزيزة تركت البيت غاضبة. ولبس ثيابه على عجل وقاد سيارته بحثاً عنها في بيوت صديقاتها الواحدة بعد الأخرى. وانتصف الليل دون أن يعثر لعزيزة أمير على أي أثر.

الفصل الرابع

أحاديث مع عزيزة أمير

كانت عزيزة أمير نجمة كبيرة ملأ السمع والبصر، وكانت الصحافة الفنية تتسارع للحصول على أحاديث معها، ومن أهم الأحاديث التي أدلت بها نثبت هنا حوارين أجرى الأول المحرر الفني لمجلة الكواكب، وأجرى الثاني أحد محرري مجلة المصور، ويرجع تاريخ الحوارين إلى عام ١٩٤٩

***

أولا: حديث مع مجلة الكواكب المصرية

ما أن شرعت السيدة عزيزة أمير في تكوين شركة مصرية سينما توغرافية، تقدم إليها وداد عرفي وعرض عليها مساعدته بعد أن أوهمها أنه من كبار مخرجي السينما معززاً قوله ببعض خطابات مكتوبة باللغة الألمانية التي لا تفهمها السيدة، والتي أدعي أنها شهادات من شركات السينما التي عمل معها !

وبدأ العمل، ثم ما أن كاد يصل إلى نهاية حتى بوغت الجمهور الذي كان يترقب عمل هذه الشركة المصرية الفتية، بخروج وداد من

الشركة، واستبداله بمخرج آخر، ثم الاستغناء عن هذا الأخير، بالسيد استفان روستي...

وكان لا بد من أسباب خروج وداد بعد أن قطع مرحلة طويلة من العمل، ولكنه صمت حيناً طويلاً، إلى أن رأينا له خطاباً في زميلتنا الستار يدفع فيه عن نفسه، ويلصق بالسيدة عزيزة بعض التبعات، فأثرنا أن تستطلع رأيها هي الأخرى فكان لنا ما أردنا.

***

الرقص المبتذل

كان من تلك التهم التي عزاها وداد إلى السيدة أنها أدخلت في الرواية "نداء الله" رقصة، رأى زوجها فيما بعد أنها تشوه من سمعة مصر، ولكن السيدة تقول، أن وداد هو صاحب الفكرة وهو الذي أشار بإدخال الرقص في روايته، وعلى كل فليست الرقصة مبتذلة، وأن هي إلا حركات تنقل سريع مع تحريك الخصر والأيدي!!.

***

آويته في منزلي

"وكان وداد عرفي يقيم في فندق، وكان يرهقه دفع نفقاته، فرأيت مبالغة في إكرامه أن أنقله إلى منزلي، وفعلاً أسكنته الدور الأسفل

"البدرون" وكنت أدفع كافة ما يتطلبه من نفقات طعامه، ثم أعطيته فوق ذلك نقوداً لمصروفه الخاص..

وفي الحقيقة، إنه لم يتناول مرتباً ثابتاً، ولم يكن بيننا تعاقد على ذلك، فقد كان اتفاقنا أن أعطيه ثلث إيراد الفلم أو ثمنه عندما يتمه وأبيعه، وذلك بعد أن أخصم ما كنت أعطيه له أثناء اشتغاله معي.

***

مبالغته في أسعار مشترواته

وكان وداد هو الذي يشتري الأدوات والشرائط التي تحتاج إليها، و كنت واثقة به مطمئنة إلى أمانته ولكنه لم يقدر تلك الثقة وذاك الاطمئنان.

أعطيته مرة نقوها ليشتري بها شرائط، و بعد أن استهلاك نصفها أدعى أنه في حاجة إلى غيرها فأعطيته منها ليشتريها، وكنت ادفع ثمن "البو بينة" أربعة عشر جنيهاً وأربعين قرشاً حسب ما كان يطلب مني، ولكن من سوء حظه أن اضطررت مرة إلى شراء بعض الأشرطة ولم يكن هو موجوداً، فدهشت حينما طلب مني نفس المحل الذي كان يشتري هو منه، اثني عشر جنيهاً فقط من البوبينة التي كان يشتريها لي مديري الأمين مبلغ أربعة عشر جنيهاً وأربعين قرشاً!!

***

أنقذته من السجن

وما إن تزوجت، عرض علي زوجي السفر القضاء بضعة أيام في الإسكندرية، فسافرت مستودعة مشروعي الكبير، وأملي العظيمة، بين يديه وطلب مني نقوداً فأعطيته.. وعدت من الإسكندرية، فإذا بالعمل قد أوقف ولم ينجز منه شيئاً.

ولما سألته عن سبب إيقاف العمل أدعى أن النقود نفذت فطلبت منه أن يبين أوجه اتفاقها فعجز، ثم اعترف لي بالحقيقة الآتية :

"كان مديناً لسائق سيارة بمبلغ من المال والظاهر أن في المسألة شيئاً من الاحتيال فرافعه الرجل إلى القضاء، وخشي وداد من سوء العاقبة فبادر إلى إسكاته بالمبلغ الذي أخذه : مني لشراء لوازم الشركة".

"ولم أجد بداً من دفع نقود أخرى، بل قدمت له بقية الدين ليسدده للرجل كي لا تشغله القضايا والمنازعات فتربكه عن أجادة عمله!!".

***

قبلة

لقد قاسيت من تصرفات هذا الرجل كثيراً، ولقد كاد يحملني على

اليأس من إصلاحه. تصور أنه في اثناء العمل يوقف "الماكينة" فجأة ليأخذ منظراً خطر له وليس له أية علاقة بالرواية، ثم يتلفه بعدئذ ويحذفه بتمامه.

أو يقف أمام الآلة عدة دقائق تستغرق كثيراً من أمتار الأشرطة، ليظهر نفسه في "اپواز" مختلفة لا داع لها مطلقاً!! وأبلغ من ذلك في الغرابة أنه استحضر معه ذات مرة سيدة أجنبية وأمر "المصور" بإدارة "اللاقطة".

ووقت أ.م العدسة مع تلك السيدة يعانقها بما استغرق ما ثمنه تسعة وعشرين جنيهاً من الشريط، من أجل قبلة واحدة!!

ولما سألته عن علاقة ما فعله بالرواية، قال أنها صديقة له "غاوية" الظهور على اللوحة السينما توغرافية!! وبعد أن أتلفنا ذلك المشهد الغرامي الذي كلفني كثيراً..

وعندي أمثلة كثيرة من أمثال هذه التصرفات التي خرجت منها بنتيجة واحدة، هي أن لابد من أن يكون بعقله مس!!!

***

نداء الله

"يدعى وداد أن رواية "ليلى" التي وضعتها بنفسي هي روايته

"نداء الله" التي قدمها لي أول الأمر والتي ما أقدمت على إخراجها إلا لافتقار التأليف المصري في هذا النوع من الروايات السينما توغرافية. والحقيقة تناقض قوله تماماً، وأن روايتي تختلف موضوعاً وتنسيقاً عن روايته، وإن كانت كلتاهما تمثلان في الصحراء بل أن جزءاً من روايتي تعمدت أن يكون ممثلاً لشيء من الحضارة المصرية والمدنية الحديثة التي يشك الغربيون كثيراً في أن لنا قسطاً منها.

صحيح أني استعملت بعض المناظر التي أخذها هو، ولكنها مجرد مناظر وليست مشاهد. أو مواقف تمثيلية وإنما اضطررت إلى إدخالها في الفيلم لأنني لم أجد داعياً للانتقال عدة مرات في الصحراء والرمال لأخذ مناظر يمكن قصها من الفلم القديم الذي تكبدت فيه خسائر جمة ثم استغنيت عنه كله..

"ولكي تتأكد من أنني لم اعتدي على روايته أقول أنني لم استعمل مما أخرجه سوى ثلاثمائة متر من ألف وستمائة متر إخرجها مدة عمله معي ومن هذه النسبة يمكن الحكم بسهولة بعدم معقولية ادعائه!!

***

ليلى

"وقد اتخذت لروايتي الجديدة اسم"ليلى" وهي تبحث في العادات والأخلاق المصرية دون تعرض لتشويه أو مسخ كالذي كان يحاوله هو

أما عن قصد، وإما لجهله – كما يعترف هو – بالأخلاق والعادات المصرية.

"والفيلم قد تم ولم يبق على إنجازه إلا كتابة العناوين، ولن يستغرق هذا أكثر من أسبوع واحد. وأنا انتهز هذه الفرصة، فأتحدى "وداد" علناً أن يثبت للجمهور أني أخذت أو اقتبست روايته، وإذا كان لديه الشجاعة الكافية فليحضر إلي، وأنا أسلمه كافة الأشرطة التي أخرجها، ويعمل فيها ما يشاء على أن يكون منها رواية وأنا واثقة انه لن يستطيع أن يعرض على الجمهور، إلا مناظر مفككة لا رابطة بينها ولا يظهر فيها غير شخصه الجميل!

وبمناسبة المناظر، وما يدعيه من أنني اشتريت أثاثاً لمنزلي واستعملته في الرواية، أذكر أن كافة الشرائط التي أخرجناها معاً، ليس بها أي أثاث، بل كل مناظرها رمال وخيام، لا تجد فيها ما يمسك باليد إلا "قلة" واحدة من الصنف الرخيص!

***

ثانيا: حديث مع مجلة المصور بعنوان:

ساعة مع عزيزة أمير منذ عشرين عاماً

هات سيجارة يا خويا..! بهذه "اللازمة" تستقبلك السيدة عزيزة أمير في دارها الفخمة – الملكّ – بجاردن سيتي، ولو كانت السيجارة

بين شفتيها والعلبة في يدها.. فهي مولعة في التدخين مسرفة فيه إسرافاً لم أعهده من قبل ولا من بعد في امرأة أو رجل على الإطلاق..!

كان ذلك منذ أكثر من عشرين عاماً.. فهل تراها إلى اليوم كما كانت.. لست أدرى..!

وعزيزة أمير هي الممثلة الوحيدة، لا في مصر.. ولكن في العالم كله، في الماضي والحاضر والمستقبل، التي ولدت ممثلة! وتسألني كيف كان ذلك.. فلا أقول زعموا..! فما هذا بزعم.. ولكنها الحقيقة التي يعرفها كل من عاصر ذلك العهد القديم..!!

فجأة هبطت عزيزة أمير على مسرح رمسيس، دون أن ترى بين الكواليس أو وسط الكومبارس.. وإذا بها تمثل دور الممثلة الأولى أمام مدير الفرقة وممثلها الأول يوسف وهبي..!

قرأنا اسمها لأول مرة.. دون مقدمات أو مؤخرات.. فأثار ظهورها فضول النقاد والأدباء.. وسارعنا إلي رمسيس لنرى من تكون هذه الممثلة الأولى التي تجرؤ على الوقوف فوق المسرح، دون أن تطأه قدمها من قبل..؟ وإذا المواقف الحادة الثائرة الجامحة تتوالي سراعاً، وإذا الفتاة تنطلق أشد حرارة وقوة وصلابة، وحن نعدو لاهثين خلفها فلا نلحق بها، حتى أسدل الستار، وأرتفع التصفيق عالياً مدوياً ووقف يوسف وهبي يقدمها فخوراً إلى النظارة، فقد استطاع إن يحقق

المعجزة.. واستطاعت عزيزة أمير أن تنتزع أعجاب النقاد والأدباء والجمهور ببراعتها الفائقة..!

كان هذا أول عهدها بالمسرح والتمثيل.. فلا عجب إذا حملها الفوز والنجاح إلى آفاق أوسع وأبعد لتحقق أحلامها ومطامحها التي تلقتها وهي جنين في بطن أمها..!!

ويجهل الكثيرون أن السيدة عزيزة أمير مثلت الدور الأول أمام الأستاذ نجيب الريحاني على مسرح الريحاني، ولكنه لم يكن يومها كشكش بك عمدة كفر البلاص.. كما عرف واشتهر، ولكنه كان شيئاً آخر..!

كان يبكي ويستبكي.. كان يصارع ويقتل وينثر الأشلاء يميناً وشمالاً..! أجل.. كان أبو الكشاكش يومها بطلاً من أبطال الدراما وزعيماً لفرقة "حزايني" تنافس فرقة رمسيس، فماتت – أقصد الفرقة المحزنة!– بكل فخر وسرور وهي وليدة في مهدها! وراحت عزيزة أمير تتطلع إلى السينما بعنقها القصير المشرئب! فقد عافت نفسها المسرح سريعاً وقد اكتسحته من الجولة الأولى.. فلم لا ترقى إلى سماء الكواكب والنجوم..؟

وقد كان..!

ولا أزال لأذكر– يوم أطفئت الأنوار في سينما المترو بول–

ودارت آلة العرض تعكس ضوءها على الشاشة البيضاء وكان الشريط لا يزال صامتاً.

كانت الصناعة وليدة، والفكرة مشوشة والإخراج مضطرباً، ولكنك مع ذلك كله لا يمكنك أن تتصور مقدار النجاح المنقطع النظير الذي لقيه أول فيلم سينمائي مصري ولا مقدار ما لقيه من عطف وإقبال وتقدير وتشجيع..!

ومرة أخرى ولدت عزيزة أمير نجمة سينمائية..! بلا مخرج.. ولا ستديو.. ولا مدرسة.. ولا أستاذ..!

ترى كيف أنها خرجت من بطن أمها.. ممثلة أولى ونجمة لامعة.!!؟

وكما قدر لها هذا النجاح قدر لها أيضاً أن تكون واضعة حجر الأساس لصناعة السينما في مصر..!

***

وناولتها السيجارة وهي تفتح الباب..!

قالت: ما وراء هذه الزيارة المفاجئة..؟

قلت: جئت خصيصاً لأعطيك سيجارة.. فهل تريدين أخرى..!؟

قالت ضاحكة: يوه يقطعك أنت حتعدهم علي.. والنبي عندي

بدل العلبة عشرة.. هيه فيه حاجة في الجو..!؟

– الجو المسرحي.. الجو السينمائي. الجو الباذنجاني!!

– أما الباذنجاني.. فهذا الذي جئت أعرف أخباره من هنا.. فإلى أين سبح خيالك وارتقى تفكيرك.. بعد تجاوزك السماء السابعة..؟!

– هل قابلك أحمد (وتقصد أحمد بك الشريعي الذي كان زوجها يومذاك) وذكر لك شيئاً عن مشروعي الجديد؟

– لم أره.. وبالتالي لم يبلغني شيء عن هذا المشروع!

عزيزة أمير ولدت ممثلة

– اسمع يا سيدي.. لقد ستأجرت في مصر الجديدة فيلا كبيرة تحيط بها أرض فضاء واسعة مترامية واستأذنت الشركة في إقامة أول ستديو سينمائي في مصر على هذه الأرض الفضاء، فأذنت لي.. وبدأنا فعلاً في إقامة الاستديو على أن يكون معداً أعداداً تاما لإخراج أفلامي الجديدة بعد شهرين، وسأسافر مع أحمد في الأسبوع القادم إلى فرنسا لزيارة أكبر المصانع الخاصة هناك لنشتري كل ما يلزمنا من العدد والآلات ثم ضحكت ضحكة متواضعة خبيثة وقالت هامسة: سأدرس هناك موضوع الأفلام الناطقة.. فالحديث عنها شائع في فرنسا، ويقولون أنهم تمكنوا من صناعة آلات النقاط الصوت وإخراجها مع الشريط!

قلت: يا صديقتي الصغيرة أن طموحك وأطماعك الواسعة السريعة يخشى عليك منها فاحذري أن تصطدمي بنيزك مرتفع فتسقطي شهاباً في الفضاء..!

ومدت يدها تتصنع التثاؤب! فأسرعت أنا ولها سيجارة أخرى وقلت اسألها: هبى أنك عشت كسائر البشر على سطح هذه الكرة الأرضية.. عشرين عاماً أخرى فماذا تتمنين أن تكوني يومها..!!؟

ضحكت عزيزة ضحكة استنكارية بلهاء، وأدارت رأسها الصغير يميناً ويساراً، ثم صمتت لحظات كأنها تستوعب السؤال وتعد في ستديو عقلها الجواب.. ولم تلبث أن قالت: أنت رايح تنشر الرد بتاعي..!

– طبعاً.. وإلا فلماذا أسألك..!؟

– الحقيقة ما اقدرش أجاوب عليه بصراحة..

– ليه بأى.. !؟

– أصل حسادي كتير زي ما أنت عارف.. وأخاف أن يضحكوا على وأخاف أقول على حاجة ينافسوني فيها..!

– ضحكت وقلت: أذن سأكتب هذا للقراء..!

قالت مهددة: تستجري.. والنبي أطلع عينك.. أحنا بندرس السيناريو مع بعض أولاً وبعدين نعرضه على الجمهور..!

– وأنا على استعداد للدراسة والمراجعة والتمحيص والكتابة والشطب..!

– وأنت.. ما الذي تتمنى أن أكون بعد عشرين عاما..!؟

(ومدت يدها تأخذ سيجارة أخرى..!)

– أتمنى أن تكوني مثلاً.. بطلة التدخين في العالم..!

قالت مغضبة: أخص عليك.. والنبي بايخ.. خد سيجارتك أهه.. (ثم أشعلتها ومضت تدخنها مسرعة كالوابور!)

وعادت تقول: أنت تعرف علم الكف..؟

قلت: أبدًا.. ليتني أعرفه أذن لكانت صنعة جديدة في اليد قالت: شوف يا سيدي.. باي واحد كبير أوي في بلاد بره من بتوع علم الكف، شاف كفى مرة.. وقال لي أن حظي عظيم جداً.. وسأصبح يوماً ملكة.. غير متوجة..!

– والنتيجة.. ؟

قالت جادة: ما دام لا بد مما ليس منه بد.. فأنني أتمنى أن أكون بعد عشرين عاماً المع نجمة سينمائية عالمية، أتربع على عرش المسرح، فهذه الشهرة وهذا المجد سيتبعهما الثراء العريض طبعاً..!

***

وانقضت العشرون عاماً.. وها نحن نلتقي اليوم، وقد تحققت آمال عزيزة كما تمنتها يومذاك.. فشاهدتها في آخر أفلامها "فوق السحاب"!!

الفصل الخامس

عزيزة أمير في عيون نجوم عصرها

صفحة من مذكرات يوسف بك وهبي

يحكي الفنان الكبير يوسف وهبي في مذكراته عن عزيزة أمير وكيف دخلت مجال التمثيل فهذا فيقول: تسلمت رسالة تفوح بالعطر، وبداخلها صورة فوتوغرافية بحجم الكارت بوستال لسيدة ذات جمال عربي أصيل جاء فيها:

حضرة الاستاذ يوسف وهبي: أنا من أسرة كبيرة، أحب التمثيل، وقد حضرت مسرحية "الذبائح"وانبسطت جدا وعاوزة أكون ممثلة· أرجوك حدد موعدا يناسبك مع السائق وسأبعث لك بالسيارة ليدلك على المنزل· "م·م"

وأغرتني الصورة الجميلة، ورائحة الرسالة المعطرة، ولاسيما أنني كنت شديد الرغبة في تطعيم الفرقة بالعنصر النسائي، فحددت للسائق موعدا في العاشرة من صباح اليوم التالي· وفي الموعد المحدد وجدت السائق في انتظاري، فقادني إلى شارع الانتكخانة، ووقف أمام عمارة حديثة وفي الطابق الأول دق جرس الباب وفتحت الباب

خادمة نوبية، وأجلستني ورجتني الانتظار. ومرت خمس دقائق وعشر وربع ساعة، وشربت القهوة وبدأت أتململ وأضجر من الانتظار، خاصة أن الموعد محدد من قبل، ووقفت متأهبا للخروج، واذا بباب يفتح وظهرت سيدة خمرية اللون ممشوقة القد بقميص النوم والروب وأدركت توا أنها السيدة صاحبة الصورة، وبدا في مظهرها أنها أفاقت على التو من سبات عميق، لأن عينيها السوداوين مازالتا تغالبان النعاس. وقالت لي: أنا حابقى آجي أزورك في المسرح، اعذرني، أحسن لو شافك هنا...؟ ويضيف : عدت إلى المسرح دون أن أفهم السر، وقصصت القصة على أحمد عسكر، مدير مسرح رمسيس، وإذا به عليم ببواطن الأمور وقد أماط اللثام عن هذا اللغز، فقد استقى معلوماته من السائق وعرف منه أن السيدة "م.م" يرعاها ثري من كبار تجار القطن، عمره تجاوز الستين عاما وهو تاجر ومضارب في البورصة وهو الذي كان يشتري محصول القطن من أراضي والدي بالسنبلاوين.

ويواصل حكايته ذاكرا أنه فوجئ بطرقات على باب منزله في الساعة الثالثة فجر أحد الأيام ووجد نفس السيدة وهي ترتجف من البرد، ترتدي قميص النوم، وكانت في حالة عصبية شديدة وتعاني الحمى، وفهم أنها تركت الرجل الذي تعيش معه، بعد أن أخذت منه مبلغا من المال دون أن يعرف..

وقد تدخل يوسف وهبي بنفسه عند الرجل، وقال في مذكراته:

نجح الدرعي في استعادة عزيزة، وفي الليلة نفسها زارني الثري العجوز بالمسرح وأخبرني خاضعا ذليلا بأنه امتثل لرغبتها· ويشترط ألا تعمل إلا في رواية واحدة في السنة..

وبالفعل كتب يوسف وهبي من أجلها مسرحية تتفق مع طاقتها المحدودة، كما وصفها آنذاك وأطلق عليها اسما مستعارا، هو الاسم الذي اشتهرت به لاحقا في أرجاء مصر "عزيزة أمير"·

وقد اثار ظهور عزيزة على المسرح ضجة كبيرة نظرا لجمالها الخاص وأناقتها ورقة صوتها الذي يأسر القلوب، وكان الثري العجوز يحجز "بونوارا" في كل حفل ويبعث لها بباقات الورد.. وقد امتد عرض رواية "الجاه المزيف" خمسة شهور كاملة وهو رقم قياسي بالنسبة لفترة منتصف العشرينات، وأصبحت عزيزة أمير في فترة زمنية قصيرة نسبيا حديث المجتمع الفني، وذاع اسمها وبدأت الصحف والمجلات تورد أخبارها، وتقاضت في أول أعمالها ٣٠ جنيها كراتب شهري وكان أعلى أجر تحصل عليه ممثلة، وعملت مع مسرح رمسيس في موسم ١٩٢٤ و١٩٢٥ في مسرحية "الجاه المزيف" ثم ظهرت في نفس الموسم في روايتين هما "أرسين لوبين" و"المستر نو" في دور صغير.

وعرضت فيلمها الأول في السادس عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٢٧، ودعت في حفل الافتتاح الاقتصادي الكبير مُحَمَّد طلعت حرب باشا، وكان هذا أول فيلم مصري، وحقق نجاحا كبيرا، وتحقق

«حلم مفيدة» القديم.. الكبير!

لم تعد عزيزة أمير ممثلة مسرح ينتهي دورها بانتهاء عرض الرواية، وإنما غدت ممثلة سينما، نجمة سينما، مؤسسة سينما، يعيش دورها ما عاش الشريط نفسه. عزيزة أمير أثبتت أنها أصلب عودا من بعض الرجال، فقد تخطت العقبات، وارتفعت فوق الخلافات، ووصلت بفيلم «ليلى» إلى بر الأمان.

وقال مُحَمَّد طلعت حرب باشا بعد مشاهدة الفيلم، وهو يشد على يد عزيزة أمير «لقد حققت يا سيدتي ما لم يستطع الرجال تحقيقه»، وكان هناك ايضا أحمد شوقي بك أمير الشعراء الذي قال للفنانة عزيزة أمير، وهي تستقبله قبل بدء العرض «أرجو أن أرى هذا الهلال يكبر حتى يصبح بدرا كاملا».. وهكذا، بعد كفاح طويل استمر اكثر من ربع قرن، وفي عام **١٩٥٢** رحلت عزيزة أمير مؤسسة صناعة فن السينما في مصر، التي كان أملها في الحياة، ككل سيدة، أن تصبح أما، لكنها كانت تعزي نفسها دائما وتقول: لقد أنجبت بنتا واحدة اسمها «السينما المصرية».

***

يوسف وهبي يتحدث عنها

لم يقتصر ذكر يوسف وهبي لعزيزة أمير على مذكراته، فلم يكن

يدع فرصة إلا ويشيد بها، وفيما يلي نص رأيه فيها وفي فنها، وقد ذكره ضمن حوار أجرته معه إحدى المجلات حول مشواره الفني ونجوم تقاطعت سبلهم مع سبيله، ومنهم بالطبع عزيزة أمير:

قال يوسف وهبي بك : أتريدني أن أتحدث عن عزيزة أمير... ابنة رمسيس المحبوبة المخلصة التي هي من روح أستاذها وأدت رسالتها كفنانة وفيه،مما شرف الصناعة يجعلني أشعر أن جهودي نحو هذه الزميلة الكريمة التي تعتبر أحسن الثمار في حديقة الفن الجميل.

إن عزيزة أمير صورة ناطقة– عما نقرأه في القصص إخلاص الفنانة لأستاذها– فما ذكر رمسيس ولا حب رمسيس مرة إلا وتباهت عزيزة لانتسابها إليه وإلى حبه مما جعلها في نظري نموذجا للوفاء والنبل وكرم النفس عزيزة أمير ضحت ولا يعرف غيري مقدار ما ضحت، سوف أقدم عزيزة أمير ابنة رمسيس كما يجب أن تظهر للشعب بأعوض بهذا عن غبني لها في الماضي فقد حالت الظروف من قيامي بالواجب نحو هذه السيدة الفاضلة والفنانة البارعة وستبقى عزيزة أمير إلى الأبد في قلبي كأخلص أبناء رمسيس وأعزهم إلى وأحبهم إلى نفسي.. هي أخت بكل معنى الكلمة من معاني الإخلاص والوفاء"

***

محمود ذو الفقار

وفي حديث مماثل ذكرها المخرج والممثل محمود ذوالفقار، وكان أحد أزواجها الثلاثة:

قال: إن أسعد الظروف التي قابلتني في حياتي هي تلك الظروف التي جعلتني أساهم معها في جهادها الفني.. على أن الذي لمسته فيها أنها بقدر حبها للفن بقدر ما تضن به على الجمهور، ولا أدل على ذلك من أنها لا تريد أن تظهر في أكثر من فيلم واحد رغم أن شركتها تقدم في كل موسم عدداً من الأفلام.. وكنت أعتقد أن وجهة النظر التي تتمسك بها لم تكن على أساس إلا أنها استطاعت أن تقنعني بأن الفنانة التي تحب الفن الصحيح يجب أن تكرس مجهودها الفني لدور واحد، ينجح خير من عشرات الأدوار التي تمثل بقصد التجارة وهنا الفارق بين الأفلام الفنية والأفلام التجارية.

وتمشياً مع هذا المبدأ السليم أجد أنها بظهورها في فيلم "شمعة تحترق" إلى جانب أستاذها تحقق أمنية عزيزة لها كما أن الجمهور نفسه كان يعتقد بأن تحقيق هذه الأمنية بعيد المنال.. ولو كرست كل فنانة حياتها الفنية بنفس الإخلاص الذي تكرس به عزيزة أمير حياتها لأصبحت السينما محصنة بوفاء المجندات لخدمتها.

***

رسالة من أحد المشاهدين

نشرت مجلة الكواكب في إطار تغطيتها لفيلم "كفري عن خطيئتك" رسالة من أحد القراء، وتعتبر مقالا مميزا في النقد الفني للفيلم، وفيما يلى نص ما ورد بالمجلة:

(جاءتنا من حضرة أحمد أفندي عبد الله الموظف بدار سينما فؤاد بالقاهرة، الكلمة الآتية عن شريط "كفري عن خطيئتك" يبدي فيها رأيه في هذا الشريط)

لست أراني –بحكم مهنتي– بعيداً عن وسط التمثيل السينمائي أو متطفلاً إذا ما عالجت الكتابة في هذا الموضوع. وبهذا الاعتبار المتقدم الذكر سأحاول فيما يلي أن اظهر ما أحدثته في نفسي من التأثير شخصية النجمة المصرية المتألقة السيدة عزيزة أمير في فلمها الجديد "كفري عن خطيئتك".

عالجت السيدة عزيزة في روايتها موضوعاً حيوياً له أثره في حياتنا العامة هو (الصراع بين العاطفة والتقاليد الموروثة) وأيهما له الغلبية والفوز في النهاية. ذلك أن فتاة هندية أحبت شاباً مصرياً وأحبها هو الآخر ولما أراد الاقتران بها وقفت التقاليد الهندية حجر عثرة في طريق سعادتهما. ولقد أبدعت السيدة عزيزة التي اتخذت لنفسها شخصية الفتاة الهندية كل الإبداع في تمثيل مواقف الحب القوي العنيف ثم

النفس المضطربة الحائرة التي مع ما فيها من قوة العاطفة لا يرضيها أن تهمل الطاعة الأبوية أو تنسى الواجب الديني، وأجادت تصوير مواقف الفزع ثم تقدير الخطيئة وتأنيب الضمير الذي ينتهي بتناولها مادة سامة تخلصها من متاعب الحياة المضطربة التي كانت تحياها.

تنتقل بك الرواية من منظر خلاب يحدثك عن جمال الطبيعة وأبهة المدنية الحاضرة إلى آخر أكثر رواء وبهجة، يتخلل ذلك أناشيد مصرية شجية. وهكذا يبهرك جمال الفن ودقته وخلوه من التكلف فتملك الرواية عليك المشاعر.

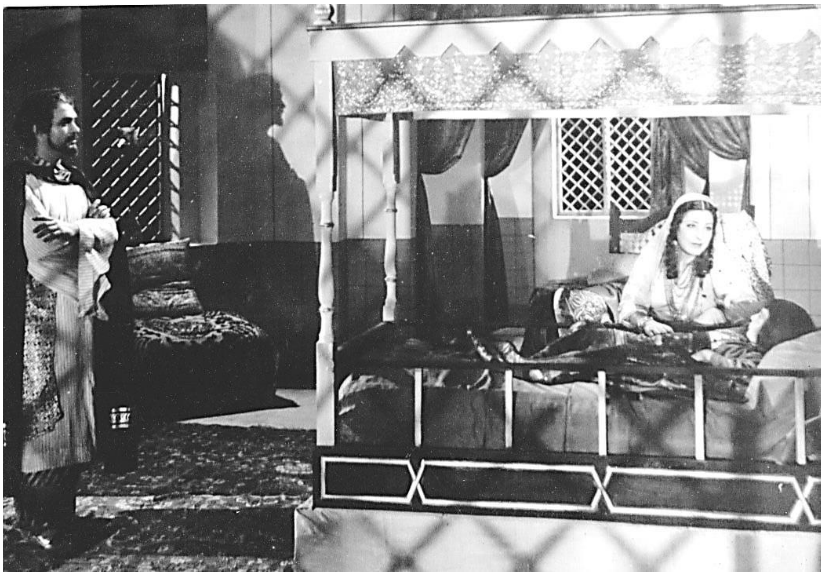
فإلى الأمام أيتها المجاهدة المخلصة، حتى تدركي ما تريدينه من غرض سام نبيل ومثل أعلى جدير بالاحترام والتبجيل.

***

زكي طليمات قال في رثاء عزيزة أمير

عندما توفيت الفنانة الرائدة عزيزة أمير عام،١٩٥٢ رثاها كبار نجوم الفن المصري، ومن بينهم النجم المسرحي زكي طليمات الذي قال: "تشكل حياة عزيزة أمير، بانية السينما في مصر، أسطورة عجيبة تدخلها من بابين، كل منهما يقابل الآخر، باب المرأة ذات الفتنة الطاغية وأبدع مثال من أمثلة الجمال المصري، وباب الفنانة الموهوبة التي اشتعل قلبها ولعا بالسينما وضاعت من أجلها ثروتها".

ملحق صور



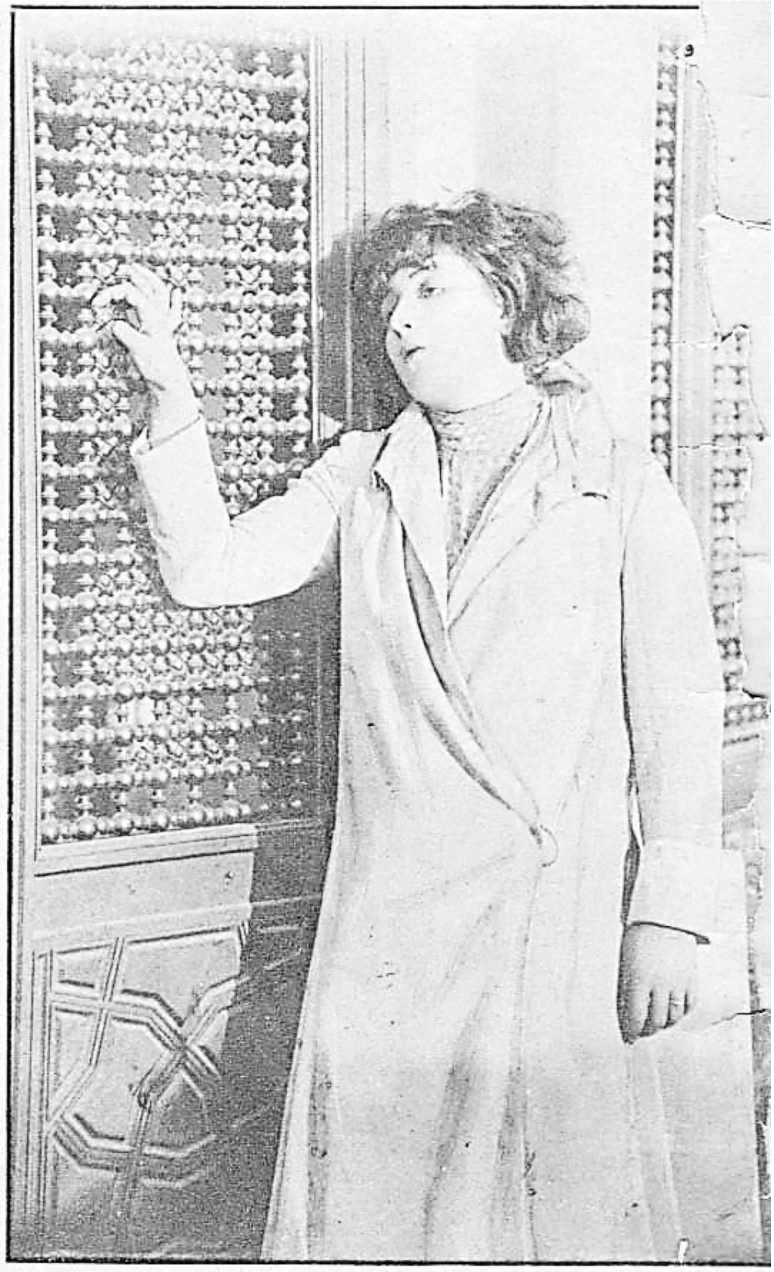
مشهد من احد افلامها



مشهد سينمائي



لقطة من بنت النيل



لحظة حزن – مشهد تمثيلي



لحظة انسجام



في مشهد مسرحي



في أحد أفلامها



غلاف مجلة المصور



غلاف مجلة الفن



غلاف مجلة الفن السينمائي



غلاف مجلة الاستوديو



غزل وتأمل



عزيزة أمير–ماريو



عزيزة أمير ومحمود صلاح -كفري عن خطيئتك



عزيزة أمير –كفري عن خطيئتك



عزيزة أمير —صورة



ؤاد افندي ابـ

احد مناظر رواية « بنت النيل » السينمائية — السيدة عزيزة امير بعابدين بمصر

افندي فارس في احد مواقفهما الجميلة في الرواية

بنت النيل



اميرة عزيز –غلاف الكواكب



الجمال الهادىء



أثناء حوار صحفي



مشهد من آخر أفلامها

الفهرس